نبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

المنشئ ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام « ان للاسلام صوى » و « منارا » كمنار الطريق

ذو الحجة سنة ١٣٥١ برج الحمل سنة ١٣١١ هـ ش ابريل سنة ١٩٣٣

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري ارشادي اجتماعي سياسي

هداية الاسلام في تحرير الرقيق وأحكامه

(تابع لما قبله)

قد شرع الله تعالى لابطال الرق طريقتين عدم تجديد الاسترقاق في المستقبل، وتحرير الرقيق القديم بالتدريج الذي لاضرر ولا ضرار فيه

(الطريقة الأولى) منع الاسلام جميع ماكان عليه الناس من استرقاق الاقوياء للضعفاء إلا استرقاق الأسرى والسبايا في الحرب التي اشترط فيها ما تقدم بيانه من دفع المفاسد وتقرير المصالح ومنع الاعتداء ومراعاة العدل والرحمة وهي شروط لم تكن قبله مشروعة عند المليين وأهل الحضارة فضلا عن المشركين الذين

لاشرع لهم ولا قانون ، ولست أعني بالاستثناء أن الله تعالى شرع لنا من هذا النوع من الاسترقاق كل ما كانت الامم تفعله معاملة لهم بالمثل ، بل شرع لأولي الامر من المسلمين مراعاة المصلحة للبشر في امضائه أو إبطاله بأن خيرهم في أسرى الحرب الشرعية بين المنّ عليهم بالحرية والفداء بهم ، وهو نوعان فداء المال وفداء الانفس ، اذا كان لنا أسارى أو سبي عندقومهم ، وذلك قوله تعالى الذي أوردناه في قواعد الحرب (فشدُّوا الوَثاقَ فاما منا بعدُ وإما فداء) [1] ولما كنا مخيرين فيهم بين اطلاقهم بغير مقابل والفداء بهم ، جاز أن يعد هذا أصلا شرعيا لابطال استئناف الاسترقاق في الاسلام ، فان ظاهر التخيير بين هذين الامرين ان الامر الثالث الذي هو الاسترقاق غير جائز ، لو لم يعارضه أنه هو الاصل المتبع عند جميع الامم ، فمن أكبر المفاسد والضرر أن يسترقوا أسرانا ونطلق أسراهم ونحن ارحم بهم واعدل كما يعلم مما يأتي . ولكن الآية ليست نصا في الحصر ، ولا صريحة في النهي عن الاصل ، فكانت دلالتها على تحريم الاسترقاق مطلقا غير قطعية ، فبقي حكمه محل اجتهاد أولي الامر ، اذا وجدوا المصلحة في إبقائه أبقوه ، واذا وجدوا المصلحة في ترجيح المن عليهم بالحرية وهو ابطال اختياري له أو الفداء بهم عملوا به

وانما تكون مصلحة الاسترقاق أرجح من هاتين المصلحتين — أي المن على الاسرى والفداء بهم — في حالات قليلة لاتدوم كأن يكون المحاربون المسلمين قوما قليلي العدد كبعض قبائل البدو يُقتل رجالهم كلهم أو جلهم فاذا تُرك النساء والاطفال والضعفاء من الرجال لانفسهم لا يكون لهم قدرة على الاستقلال في حياتهم ، فيكون الخير لهم ان يكفلهم الغالبون ويقوموا بشؤونهم المعاشية ، ثم تجري عليهم أحكام الطريقة الثانية في تحريرهم ، وقد يتسرون بالنساء فيكن أمهات أولاد وربات بيوت حرائر ، أو محصنات من الفواحش مكفيات أمر المعيشة على الاقل ، وقد سن النبي ﷺ لامته ترجيح المن على الاساري والسبايا بالعتق قولا وعملا في غزوة بني المصطلق وغزوة فتح مكة وغزوة حنين كما هو مفصل في كتب السيرة النبوية وغيرها إذ لم يكون أسروا من المسلمين احداً لان المسلمين قد أثخنوهم

(١) راجع ص ١٥ مجلد ٣٣ منار

وظهروا عليهم، فعلمنا ان روح الشريعة الاسلامية ترجيح جانب الفضل والاحسان عند القدرة، ومنه عتق الاسرى والسبايا والمن عليهم بالحرية بلا مقابل حاضر، ولا خوف مستقبل، بل لمحض الاحسان

﴿ الطريقة الثانية ماشرعه لتحرير الرقيق الموجود وجوبا وندبا وهو أنواع ﴾

(النوع الأول من أحكام الرق، ووسائل تحريره الالزمة وفيه عشر مسائل)

(١) الحرية في الاسلام هي الاصل في الانسان كما كتب أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب (رض) الى عامله على مصر عمرو بن العاص (وقد اشتكى عليه قبطي) ياعمرو منذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ وقد أخذ الفقهاء من هذا الاصل ان الرق لا يثبت باقرار المرء على نفسه، وجعلوا قول منكره راجحا على قول مدعيه فيكلف اثباته

(٢) ان الاسلام حرم استرقاق الاحرار من غير أسرى الحرب الشرعية العادلة بشروطها كما تقدم وجعل ذلك من أعظم الآثام . روى البخاري وغيره من حديث ابي هريرة عن النبي ﷺ قال « قال الله تعالى ثلاث أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره » وفي حديث الثلاثة الذي لا يقبل الله منهم صلاة « ورجل اعتبد محرراً » أي جعله كالعبد في استخدامه كرها أو أنكر عتقه او كتمه، وهو في سنن أبي داود وابن ماجه

(٣) شرع الله تعالى للمملوك أن يشتري نفسه من مالكه بمال يدفعه ولو أقساطا ويسمى هذا في الشرع الكتاب والمكاتبة وأصله قوله تعالى (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) أمر بمكاتبتهم ان علم المالك انهم يقدرون على الكسب والوفاء بما التزموه وانه خير لهم، وأمر باعانة المالك لمكاتبه على أداء ماباعه نفسه به ويدخل فيه الهبة وحط بعض الاقساط عنه، وجعل في مال الزكاة المفروضة سهما تدخل فيه هذه الاعانة وندب غير المالك لذلك ايضا

ذهب بعض العلماء إلى ان الامرين في الآية للوجوب : الامر بالمكاتبة والامر بالاعانة عليها ، والاكثرون على ان الاول للندب والثاني للوجوب ، وفي صحيح البخاري بعد ذكر الآية : قال روح عن ابن جريج قلت لعطاء أواجب علي اذا علمت ان له (أي لمملوكه) مالا ان أكاتبه ؟ قال ما أراه الا واجبا . وقال عمرو ابن دينار قلت لعطاء أتأثره عن أحد ؟ قال لا ، ثم أخبرني ان موسى بن أنس أخبره ان سيرين [1] سأل أنساً المكاتبة وكان كثير المال فأبى فانطلق سيرين الى عمر فدعاه عمر فقال له كاتبه، فأبى فضربه بالدرة وتلا (فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً) فكاتبه اه

(٤) اذا خرج الارقاء من دار الكفر ودخلوا دار الاسلام يصيرون أحراراً وعلى الحكومة الاسلامية تنفيذ ذلك ومستنده في السنة معروف

(٥) ان من أعتق حصة له من عبد عتق كله عليه من ماله ان كان له مال، وان كان لغيره حصة فيه فله احكام، وفي ذلك أحاديث في الصحيحين وغيرهما منها حديث أبي هريرة ان النبي ﷺ قال « من أعتق نصيبا أو شقصا في مملوك فخلاصه عليه في ماله إن كان له مال وإلا قوّم عليه فاستسعى به غير مشقوق عليه » وحديث ابن عمر مرفوعا أيضا « من أعتق نصيباله في مملوك أو شركا له في عبد فكان له من المال ما يبلغ قيمته بقيمة العدل فهو عتيق» والشقيص كالنصيب وزناومعنى

(٦) من عذب مملوكه أو مثل به أو خصاه عتق عليه فقد روى الامام احمد ان زنباعا أبا روح وجد غلاما له مع جارية له فجدع أنفه وجبَّه فشكاه الى النبي ﷺ فسأله فاعترف وذكر ذنبه فقال النبي ﷺ للغلام « اذهب فأنت حر » ويؤخذ منه ان الجب والخصاء حرام وموجب لعتق العبد وينفذه الحاكم فكل ما كان يتخذ من الخصيان المماليك ففيه مخالفة للشرع الاسلامي بخصائهم وعدم عتقهم

وفي رواية له (الامام أحمد) أخرجها ابو داود وابن ماجه جاء رجل الى النبي ﷺ صارخا فقال له «مالك ؟ قال سيدي رآني أقبل جارية له فجبَّ مذاكيري فقال النبي ﷺ علي بالرجل فطلب فلم يقدر عليه فقال ﷺ للغلام « اذهب

(١) هو والد محمد بن سيرين التابعي المشهور

فأنت حر »وفي جامع الاصول من حديث سمرة بن جندب وابي هريرة ان النبي ﷺ قال« من مثل بعبده عتق عليه »

(٧) ايذاء المملوك بما دون التمثيل والتعذيب الشديد حرام ولا كفارة لذنبه إلا عتقه فقد روى أحمد ومسلم وابو داود عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول« من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته ان يعتقه »وللشيخين والترمذي عن سويد بن مقرن قال : كنا بني مقرن على عهد رسول الله ﷺ ليس لنا إلا خادمة واحدة فلطمها أحدنا فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال « أعتقوها »وقيل له انه ليس لبني مقرن خادم غيرها فرخص لهم باستخدامها مادامت الحاجة واطلاقها اذا زالت

وروى مسلم وغيره عن ابي مسعود البدري قال كنت أضرب غلاما بالسوط فسمعت صوتا من خلفي « إعلم أبا مسعود » فلم أفهم الصوت من الغضب ، قال فلما دنا مني اذا هو رسول الله ﷺ فاذا هو يقول« اعلم ابا مسعود ، اعلم ابا مسعود » فألقيت السوط من يدي ، وفي رواية فسقط من يدي السوط من هيبته فقال « اعلم ابا مسعود ان الله اقدر منك على هذا الغلام » وفي رواية « عليه » فقلت يارسول الله هو حر لوجه الله فقال« أما لو لم تفعل للفحتك النار ، أولمستك النار»

. (٨) التدبير عتق لازم ، وينعقد بقول السيد لعبده أنت مدبر وأنت حر عن دبر مني أي بعد ان أدبر عن هذه الدنيا . وكذا أنت حر بعد موتي، اذا قصد به التدبير فان أطلق ولا قرينة فبعض العلماء يرجح انه تدبير تقوية لجانب العتق الذي هو من مقاصد الشرع الاساسية ومنهم من يرجح جانب الوصية

ومن أحكام التدبير انه لازم في الحال لايجوز الرجوع عنه كالوصية ، وانه لا يجوز للمدبر (بالكسر) بيع المدبر (بالفتح) عند مالك وابي حنيفة وان من دبر بعض مملوكه وهو مالك له كله سرى العتق الى باقيه ، وقال جمهور العلماء ان أولاد الجارية المدبرة تابعون لها في العتق والرق فاذا عتقت عتقوا معها

(٩) عتق امهات الاولاد ـ وهو أن الجارية التي تلد لسيدها ولداً تصير حرة من رأس ماله بعد موته فلا تدخل في ملك الورثة ولا يجوز له بيعها في حياته عند جمهور السلف والخلف وأولهم عمر وعثمان (رض)

ففي حديث عمر عند الامام مالك « أيما وليدة ولدت من سيدها فانه لا يبيعها ولا يهبها ولا يورثها وهو يستمتع منها فاذا مات فهي حرة » ولو ان أم الولد تورث لورثها أولادها فكانت ملكا لهم وهذا مناف لمقاصد الشرع وأصوله وآدابه

(١٠) ان من ملك أحداً من أولي القربى عتق عليه وأعم ما ورد فيه حديث سمرة بن جندب مرفوعا « من ملك ذا رحم محرم فهو حر » رواه احمد وأصحاب السنن الا النسائي والحاكم وصححوه وهذا بمعنى ما قبله من عتق امهات الاولاد .

﴿ النوع الثاني من وسائل تحرير الرقيق الموجود الكفارات ﴾

والمراد بها القربات التي تمحو الذنوب وأعظمها عتق الرقاب وهي ثلاثة أقسام (أحدها) واجب حتم على القادر على العتق بملك الرقبة او ثمنها ككفارة قتل النفس خطأ ، وكفارة الظهار وهو تشبيه الرجل زوجه بأمه وكان طلاقا في الجاهلية ، وكفارة إفساد الصيام عمداً بشرطه وقيده المعروفين في الفقه

(ثانيها) واجب مخير فيه وهو كفارة اليمين فمن حلف يمينا وحنث فيها فكفارته اطعام عشرة مساكين او كسوتهم او تحرير رقبة كما قال الله تعالى وحكمة التخيير ظاهرة

(ثالثها) مندوب وهو العتق لتكفير الذنوب غير المعينة وهو من أعظم مكفراتها

﴿ النوع الثالث من وسائل إلغاء الرق الموجود ﴾

جعل سهم من مصارف الزكاة الشرعية المفروضة (في الرقاب) بنص القرآن ، هو يشمل العتق و لاعانة على شراء المملوك نفسه (الكتابة) ومن المعلوم ان زكاة الامة الاسلامية قد تبلغ مئات الالوف وألوف الالوف من الدراهم والدنانير ، فلو نفذت أحكام الاسلام فيها وحدها لأمكن تحرير جميع الرقيق في دار الاسلام

﴿ النوع الرابع منها العتق الاختياري لوجه الله تعالى أي ابتغاء مرضاته ﴾

وقد ورد فيه من الترغيب في الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ما يدخل تدوينه في سفر كبير ، ويدل على انه من أعظم العبادات وأصول البر (كما في آية البر من سورة البقرة ٢ : ١٧٦)

ومن أشهر أحاديث الترغيب في العتق قوله ﷺ « أيما رجل أعتق امرءاً مسلما [1] استنقذ الله بكل عضو منه عضواً من النار » متفق عليه من حديث ابي هريرة ، وفي رواية « عضواً من أعضائه من النار حتى فرجه بفرجه » وحديث ابي ذر قال سألت رسول الله ﷺ اى العمل أفضل ؟ قال « إيمان بالله، وجهاد في سبيله » قلت فأي الرقاب أفضل؟ قال « اغلاها ثمناً وأنفسها عند أهلها » الحديث.

ومن أشهرها حديث ابي موسى الاشعري « أيما رجل كانت له جارية أدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها وأعتقها وتزوجها فله أجران » وفي الصحيح ان ابا هريرة لما روى قوله ﷺ « للمملوك الصالح أجران » قال والذي نفسي بيده لولا الجهاد والحج وبر أمي لأحببت ان أموت وانا مملوك

(الوصية بالمماليك)

أضف الى هذا وصايا الله ورسوله بالمماليك ومنها تخفيف الواجبات عليهم وجعل حد المملوك في العقوبات نصف حد الحر وقد قرن الله الوصية بهم بالوصية بالوالدين والاقربين ، ونهى النبي ﷺ عن قول السيد « عبدي وأمتي » وأمره ان يقول « فتاي وفتاتي وغلامي » وأمر بأن يطعموهم مما يأكلون ويلبسوهم يلبسون ، ويعينوهم على خدمتهم ان كلفوهم مايغلبهم كما في حديث ابي ذر في الصحيحين وغيرهما وكان يوصي بالنساء وماملكت الايمان حتى في مرض موته الى أن التحق بالرفيق الاعلى ﷺ وسأله ابن عمر كم أعفو عن الخادم ؟ قال « اعف عنه كل يوم سبعين مرة » وهذا مبالغة أي كلما أذنب

ولهذا كان المسلمون في الصدر الاول يبالغون في تكريم الرقيق ومعاملتهم بالحلم حتى صاروا يقصرون في الخدمة. ولعمر الحق ان العبد المملوك في حكم الاسلام الاول كان أعز نفساً وأطيب عيشاً من جميع الاحرار الذين بتلوا في هذه العصور بحكم دول الافرنج أو نفوذهم من غيرهم ، وان حكومة الولايات المتحدة لتعامل سكان البلاد الاصليين الذين تمن عليهم بالحرية بغير الاحكام التي تعامل بها الجنس الابيض حتى ان من اعتدى على امرأة بيضاء يقتل شر قتلة بخلاف العكس ولا يتسع هذا المقام لتفصيل ذلك

(١) اتفق العلماء على شرعية عتق الكافر وانه قربة وانما اختلفوا في عتقه في الكفارة

خلاصة

﴿ ما تقدم من المقدمات والمقاصد في بحث الوحي المحمدى ﴾

قد علم مما تقدم أنه كان في الأمم أفراد جاءوهم بأنباء ورسالات عن ربهم وخالقهم ، موضوعها تكميل فطرتهم بهداية أعلى وأتم مما تصل إليه مداركهم العقلية في معرفة ربهم وما يجب له عليهم من الشكر والعبادة ، وما يجب لبعضهم على بعض من الحقوق والواجبات ، وما يحظر عليهم من المفاسد والمنكرات ، لتزكية أنفسهم بما تصلح به أمور معاشهم ، وما ترتقي به أرواحهم حتى تكون أهلا للقائه تعالى وكمال معرفته وحسن جزائه في الدار الآخرة ، وهو دين الله تعالى

وعلم أيضا أن جميع الاديان المبنية على أساس الايمان بالله واليوم الآخر والاعمال الصالحة التي تزكى بها الانفس وتصلح فهي من تبليغ أولئك الانبياء المرسلين من وحي الله عز وجل ، ولكن طرأ عليها التغيير والبدع والضياع قبل ختمها بالاسلام العام

ومن استقرأ التاريخ العام تجلى له ان أكثر ما صلح به حال البشر في شعوبهم وأممهم فهو من اتباع هداية هؤلاء الانبياء — وأن علم من دونهم من الحكماء والادباء وواضعي القوانين والنظم العامة لم يكن له مثل إصلاحهم في عمومه وتأثيره في الانفس ، بل كان أكثر هؤلاء المرشدين غير راشدين ، والدعاة إلى الهدى غير مهديين ، ومنهم واضع الديانة الطبيعية الاخيرة من الاوربيين ، فقد كان حسن القول سيء العمل فاسد الاخلاق ، وديانته صورة جميلة مقتبسة من كتب الادب والشرائع لكنها مادية لاروح فيها، ولهذا لم يتبعه أحد من المعجبين به وبها.

ولا يزال جميع الشعوب الراقية في العلم والفلسفة ومنهم قومه في أشد الحاجة إلى اتباع الوحي المأثور عن بعض أولئك الانبياء على انقطاع أسانيد كتبه وفقد أصولها، وسوء التصرف في ترجماتها، وكونها خاصة موقوتة ، لاعامة دائمة ، وعلى ما أورده العلماء والحكماء على عقائدها وأحكامها من النقد والنقض ، إلا الاسلام

فعلماء التاريخ العام يعلمون أنه لم ينقل تاريخ أحد من أولئك الانبياء نقلا صحيحا متواترا إلا تاريخ محمد ﷺ ، ولم يحفظ كتاب أحد منهم حفظا تاما

محيطا بألفاظه وحروفه وصفة تلاوته وإلقائه من عصره إلى هذا اليوم إلا هذا القرآن الذي أوحاه الله إليه - وأنه لم يعنَ قوم من أقوام أولئك الانبياء بمثل ما عني به قومه وأتباعه من تحرير أخباره وسيرته وسننه بالحفظ والعمل والتدوين، مع نقد نقلتها، والتمييز بين ما صح وما لم يصح منها، وجعل غير الصحيح على درجات من حسن وشاذ ومنكر وموضوع، ووضع المصنفات والمعاجم المفصلة لذلك

وقد بلغ من صدق حفاظ الحديث وأئمة الجرح والتعديل لرواته وأمانتهم أنهم كانوا متعبدين بصناعتهم لذاتها، بصرف النظر عن المتون المروية عن النبي ﷺ وعن أصحابه أو أعداء بشأنه، أكانت موافقة لعقائدهم وآرائهم أم لا ؟ بل لم يكن يصدهم عن نقل الرواية وتصحيح سندها بحسب المعروف عندهم من تاريخ رجال السند أن تكون مخالفة لنص القرآن أو أصول العقائد المقررة أو الاحكام الثابتة بروايات أخرى، بل كانوا يدعون نقد متون الاحاديث والترجيح بينها إلى أهل الدراية من الفقهاء وغيرهم . وهذا كانوا يعدون دعاة المذاهب والنحل الدينية المبتدعة والاحزاب السياسية غير عدول في النقل، لان أحدهم يجعل مذهبه أصلا ويطلب الرواية لتأييده وابطال المذهب المخالف له فيجعلها فرعا له، فإن لم توافقه يتأولها أو يردها بشبهة جدلية، وهم لم يكونوا يستحلون ذلك، مثال ذلك أنه لم يكن لأحمد بن حنبل وهو أكبر أئمة هؤلاء الحفاظ وعلماء الجرح والتعديل في عصره مذهب يعده أصلا ويطلب الروايات لإثباته، بل كان إذا قال قولا ثم صحت عنده رواية بخلافه يرجع عنه ويتبع ما صح من الرواية، بل كان يرجح الرواية على ما قاله إذا كان رأيا واجتهادا وان لم تصل الرواية إلى درجة الصحة التامة، ولذلك قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري إن الامام أحمد كان محدثا لافقيها ويعني أن مذهبه هو الحديث لا قواعد اجتهادية يرجع الاحاديث اليها، لا أنه لم يكن عالما بالفقه

فعلم من هذا أن تاريخ محمد وقرآن محمد وسنة محمد وسيرة محمد في دعوته وتشريعه - كل ذلك ثابت بالنقل الصحيح المتصل إلى هذا العصر، وأن الاصول المتواترة منه قطعية، وان غير القطعي منها في الرواية والدلالة مما محل للاجتهاد.

لاتتوقف عليه صحة الاسلام ، وأن مثل هذا لم يتفق لتاريخ نبي آخر ولا دينه وكتابه ، ولا لغير الانبياء من الحكماء والملوك وغيرهم من زعماء البشر

وانني ألخص أصل هذا الموضوع هنا وهو إثبات الوحي المحمدي في ست مقدمات يتلوها بيان دعوة النبوة، ويتصل بها بيان مقاصدها العشر في التشريع الديني والمدني وأقفي على ذلك ببيان النتيجة المقصودة بالذات. فأقول :

مقدمات الموضوع الست

(١) انه قد علم بالنقل المتواتر من تاريخ محمد ﷺ أنه نشأ يتيما أمياً بين قوم أميين لم يقرأ سفراً ، ولم يكتب سطراً ، ولم يلقنه أحد علما ، قضى طفولته في قبيلة بني سعد بالبادية وكان يرعى الغنم فيها مع اخوته في الرضاع ، ولما عاد إلى بلده (مكة) كان يرعى الغنم بالاجرة أيضا ، ثم اشتغل في شبابه بالتجارة ، وأنه كان صحيح الجسم ، حسن الصورة ، قوي البنية ، كامل الاخلاق ، صدوق اللسان ، عظيم الامانة ، كبير المروءة ، سخي الكف ، وصولا للرحم ، عفيف النفس ، عزوفا عن الشهوات . وهذه الصفات هي التي حببته الى خديجة بنت خويلد فضلى نساء قريش التي كانوا يلقبونها بالطاهرة فخطبته لنفسها وهي أرملة مثرية محسنة كهلة بلغت الاربعين، فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين ، وهي السن التي تكمل بها البنية ويستوي الشباب ، فعاش معها خمسين سنة مقتصراً عليها إلى أن توفيت ، ورزق منها بالاولاد ، وكانت أحب نسائه اليه حتى بعد وفاتها.

(٢) انه قد علم بالنقل المتواتر أيضا أن محمداً ﷺ كان يؤثر العزلة على مخالطة قومه شبانهم وكهولهم وشيوخهم ، فلم يكن يشاركهم في شيء من عباداتهم الشركية الوثنية ، ولا كان يحضر محافل لهوهم وطربهم ، ولا كان يغشى دار ندوتهم التي يتشاورون فيها في أمور سياستهم وحروبهم ، ولا كان يُعنى بقرض الشعر ولا روايته وانشاده ، ولا بإلقاء الخطب في أسواقهم ومجامعهم ، ولم يتصد يوما ما لمفاخرة أحد منهم بنفسه ، ولا بمجد آبائه وأجداده ، ومن ثم لم يكن من علمائهم ولا بلغائهم ، إذ لم يكن لمعارفهم وحكمتهم وفصاحتهم مظهر إلا الشعر

والخطب والمفاخرات ، ولا كان من محبي الرياسة فيهم، وتأبى طبيعة الانسان المحب للظهور والرياسة أن يعيش عيشة العزلة في شرخ الشباب وعنفوانه

ولو ثبت عنه شيء من ذلك لنقله اتباعه الذين عنوا برواية كل ما علموه وما سمعوه في شأنه وان لم يثبت عندهم، ثم دونه المحدثون بأسانيده متصلة أو منقطعة صحيحة أو منكرة ، ووضعوها بين أيدي رجال النقد التحليلي منهم ومن غيرهم، وقد صرح بعضهم بانكار كثير مما نقلوه من العجائب في قصة مولده ﷺ وغيرها

(٣) انه ورد في بعض الروايات الآحادية ما يدل على أن قومه كانوا يسمعون من أهل الكتاب في الشام أنه سيبعث نبي من العرب كأنبياء بني اسرائيل يدعو الناس إلى دين جديد ، وكان منهم بحيرا الراهب الذي ذكرنا خبر رؤيته له مع عمه أبي طالب في بصرى، وبشارته لعمه بأنه سيكون لولده هذا شأن ، وأوصاه بأن يحذر عليه من اليهود . ومن هذه الروايات أن خديجة بلغتها هذه الاخبار فكانت ترجو أن يكون هو ذلك النبي المنتظر ، وكان هذا من مرغباتها في التزوج به . وفي بعضها ما يدل على أنه قد بلغه هذا فتعلق رجاؤه به لما كان يكرهه من شرك قومه وفسادهم وفساد سائر من عرف حالهم أو أخبارهم من البشر

ولكن يعارض هذا ما أوردناه من حديث بدء الوحي له في الصحيحين من انه لما رأى الملك أول مرة وكان من أمره معه ما كان خاف على نفسه وكاشف خديجة بخوفه فطأنته ، وأقسمت انه لم يكن الله ليخزيه ، وعللت قسمها بما كمله الله تعالى به من الفضائل والفواضل ، ثم أخذته إلى قريبها ورقة بن نوفل الذي كان تنصر وقرأ التوراة والانجيل واستشارته فيما رآه وسمعه ليطمئن قلبه بما كانت تتوقع من رأيه فيه ، ولما سمع (ص) رأي ورقة استغربه [1]

فهذا الحديث وهو أصح ما ورد في بدء نبوته وما كان من أمره قبلها وبعدها يدل على أن محمداً ﷺ لم يكن يعرف من أمر النبوة شيئا ،ولا كان يرجو أن يكون نبيا فيستشرف لذلك ويقوى استعداده له كما بيناه من قبل (٢)

١) راجع ص ٤١٧ من مجلد المنار ٣٢ (٢) ص ٤٩٢ منه

ويؤيد هذا من القرآن (وهو القول الفصل القطعي الذي لا ينهض لمارضته شيء من تلك الروايات المرسلة والمنقطعة) قوله تعالى في سورة الضحى (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى؟ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى) وفسر هذا بقوله له في آخر سورة الشورى ٤٢ : ٥١ (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ * ٥٢ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ٥٣ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ)

وأصرح من هذا قوله تعالى في القصص ٢٨ : ٨٦ (وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) — إلى آخر السورة. أي ما كنت ترجو ولا تؤمل (يا محمد) أن يلقى اليك الكتاب من وحي ربك فتكون نبيا رسولا، ولكنه ألقي اليك رحمة من ربك وفضلا عليك وعلى عباده، وفاقا لقوله تعالى له في أواخر سورة الانبياء ٢١ : ١٠١ (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)

(٤) قد علم بالروايات الصحيحة المتفق عليها أن الوحي الصريح قد فجأ محمدا ﷺ فجاءة (بعد تأنيس وإعداد له بالرؤيا الصادقة) بعد استكماله ﷺ سن الاربعين، وهو وحي فيه من العلوم العالية التي ترتب عليها من الاعمال العظيمة ما كان قلباً للاحوال والأوضاع الدينية والمدنية والاجتماعية التي كان عليها جميع البشر، بحيث لا يمكن أن يماثله ولا يقرب منه انقلاب آخر في العالم منذ عرف تاريخه إلى هذا اليوم كما فصلناه فيما تقدم

(٥) ان من المقرر عند علماء النفس وعلماء الاجتماع في هذا العصر أن من بلغ سن الخامسة والثلاثين ولم ينبغ في علم أو عمل عظيم لا يمكنه بعدها أن يقوم بشيء منها بدءا أنفا (بضمتين أي جديدا لم يسبق له) فضلا عن الجمع بينهما ، ويقول هؤلاء العلماء ان جميع الرجال العظماء من العلماء والفلاسفة والسياسيين والفاتحين قد ظهر نبوغهم في سن الشباب وان تم بعضه أو ظهر في سن الكهولة

وقد ألقى أحد كبار العلماء[١] خطبة ضافية في مجمع تقدم العلوم الاميركي من عهد قريب حاول فيها اثبات نظرية ترجيح الذكاء الفطري على ملكة الاختبار والتجارب في الشؤون العالمية العامة خلافا لما عليه الجماهير مستدلا عليها بتلك القاعدة التي زادتها المباحث الحديثة إثباتا ومما قاله في ذلك :

« وتدل المباحث الحديثة التي قام بها جمهور من علماء البسيكولوجيا على أن نشاط الانسان العقلي يتفق في بدئه واشتداده وانحطاطه مع أطوار النشاط الجسمي، وأن النمو العقلي يكتمل قبل الزمن الذي يتوهمه جمهور الناس، ثم يأخذ في الانحطاط أيضا قبل الزمن الذي يتوهمونه . وكان جونسون الكاتب الانجليزي الشهير يقول إن شيخوخة الانسان تبدأ في الخامسة والثلاثين ، فكل من يطمح إلى النبوغ يجب أن يسعى اليه قبل تلك السن ، وإلا فمن العبث أن يسعى اليه بعدها. وكان سويفت الاديب والمؤلف المشهور يشير الى الحياة بعد سن الثلاثين بكونها « ميلا وتحولا إلى الجانب الآخر » ويقصد بذلك أنها بدء الشيخوخة

«ومع ذلك يتوهم الكثيرون أن الشيخوخة لا تبدأ إلا في الخامسة والستين أو السبعين من العمر . ولا ريب في أن الانسان كلما تقدم في العمر جمع الشيء الكثير من الحكمة والاختبار — أي دون الابتداع والابتكار —

وقال بعد هذا « ان النشاط العقلي يكمل في الحادية والعشرين ويعرض له الضعف والفتور في أوائل العقد الثالث من العمر . وأن بعض النابغين الذين اشتهروا بالعلم والتحقيق في سن الشيخوخة كانوا قد بدأوا عملهم في سن الشباب

١) هو الدكتور ويشلر الاميركي

ثم ظهرت غايته بعد ذلك ، وضرب المثل لذلك بأفراد من المشهورين [١] ومن الافراد الذين أفادوا الناس بعلمهم في سن بعد هذه السن أيضا وأنهم قليلون ، كما ذكر كثيراً من النابغين في سن الشباب على أصل القاعدة

(٦) مما لا ريب فيه أنه لا يعلمان في البشر أحدا قام بأمر عالمي عظيم وأتمه في سن الكهولة او الشيخوخة ولم يكن قد استعد له بعلم ولا عمل قبل ذلك ، وانما نستثني انبياء الله المرسلين لان علم النبوة فيهم من وحي الله تعالى لا من كسبهم ، وقد علمت أن اشهرهم واعظمهم عملا قبل محمد ﷺ موسى عليه السلام ، وعلمت نسبة شرعه وعمله الى شرع محمد وعمله عليهما السلام مع الفرق بين تربيتهما وبيئتهما (٢)

وأما العمل الذي وقع في العالم على يد محمد ﷺ فلم يعرف التاريخ له شبيها ولا مثيلا في نابغي الشبان ولا الكهول ولا الشيوخ كما تقدم شرحه وهاك خلاصته :

سؤال

(ما الذي جاء به محمد (ص) بعد الاربعين وما الذي عمله وما الذي فعله)

ولم يكن لشيء من ذلك ما يدل عليه قبل هذه السن من قول ولا فعل ولا علم ولا عمل .

الجواب

جاء بدين معقول موافق للفطرة عام دائم ، وشرع عادل مساو بين الناس ، وجمع شمل امة متفرقة متعادية لم يعرف تاريخها لها وحدة ، وكوّن أمة متحدة مدنية مؤلفة من جميع الشعوب والقبائل ، وأسس دولة عزيزة قوية عادلة ، وأصلح جميع ما كان قد أفسده البشر من الاديان والآداب والحضارات ، بالظلم والعصبيات والخرافات .

(١) كداروين الذي استغرق جمعه لمواد كتابه أصل الانواع ثلاثين سنة ، ودانتي شاعر ايطالية وقد ظهر نبوغه بعد اشتغال طويل في الشعر ومادته ، وآينشتين العالم الالماني المعاصر وقد تقرر مذهبه في النسبية بعد اشتغاله في العلوم الرياضية والفلسفة من سن الصبا (٢) راجع ص ٣٣٢ من مجلد المنار ٣٢

الدعوة المحمدية موضوعها وكتابها

(ا) ادعى ان الله تعالى بعثه في قومه الاميين الجاهليين المشركين المفسدين في الارض ليزكيهم ويربيهم في الـكبر ويعلمهم الـكتاب والحكمة، فيبلغوا دعوته للامم فيكونوا من الائمة المصلحين ، ومن خلفاء الارض الوارثين، وكذلك كان (٢٤ :٥٥ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا)

(ب) ادعى ان جميع شعوب البشر على اختلاف مللها ونحلها ضالون مضلون، وان أتباع النبيين منهم قد فسقوا عن هدايتهم ، واشركوا بعبادة ربهم، وابتدعوا في الدين ما لم يشرعه الله لهم ، وانهم اضاعوا بعض كتبهم وحرفوا بعضها، وانه جاء من عند الله تعالى لهدايتهم كلهم اجمعين، وان دينه سيظهر على أديانهم بالحجة والبرهان ، والعقل والوجدان ، والسيادة والسلطان ، وكذلك كان (٣٢:٩ هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

(ج) جاء بكتاب ادعى انه كلام الله تعالى اوحاه إليه ، وانه ليس له منه إلا تبليغه كما تلقاه، وقد ظهر ان هذا الـكتاب لم يكن بينه وبين كلام محمد قبله ولا بعده شبه في نظمه ولا اسلوبه ولا معانيه ولا بلاغته ولا تأثيره ، ولا اخباره وعقائده، ولا تشريعه واحكامه ، ولا معلوماته الـكونية والاجتماعية ولا حكمه وآدابه

(د) قد علم من هذا الـكتاب مايضاد كونه من علم محمد وهو انه هو الذي يربيه ويعلمه كما قال (٤ : ١١٣ وأنزل عليك الـكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) ويصحح له خطأ اجتهاده في التبليغ أو التنفيذ تارة باللين والعطف، كقوله (٤٣:٩ عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) وتارة بالموعظة والشدة كقوله تعالى (١٧ :٧٤ ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ٧٥ إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرا) وقوله (٨ : ٦٧ ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى

يثخن في الارض تريدون عرض الحياة الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ٦٨ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) وقوله (٣٣ : ٣٧ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله، وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه) قالت عائشة لو كان النبي ﷺ ان يكتم شيئا من القرآن لكتم هذه الآية

وقوله (٨٠ عبس وتولى * ان جاءه الاعمى * وما يدريك لعله يزكى * او يذكر فتنفعه الذكرى * اما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * واما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى * كلا) وقوله (١٨ : ٢٨ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا .) الآية وقوله تعالى في معناها (٦ : ٥٢ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ما عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) نزلت هذه الآيات الاخيرة في ارشاد النبي ﷺ إلى العناية بفقراء المؤمنين وعدم المبالاة بأغنياء قريش وكبرائهم الذين كانوا يحتقرونهم، وكان من اجتهاده ﷺ ان يستميلهم لظنه انهم إذا آمنوا لا يلبث جمهور العرب ان يقتدي بهم

(ه) علم من هذا القرآن أيضا أنه كان حين يأتيه الوحي يخاف أن يتفلت منه شيء فلا يحفظه فيعجل بتلاوته ليحفظه فخوطب حين عرض له هذا في أثناء نزول سورة القيامة بقوله تعالى (٧٥ : ١٦ لا تحرك به لسانك لتعجل به ١٧ إن علينا جمعه وقرآنه ١٨ فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ١٩ ثم إن علينا بيانه) فكفل له ربه جمعه له بالحفظ، وأن يقرأه كما ألقي اليه لا يفوته منه شيء، كما ضمن له عدم نسيان شيء منه بقوله (٨٧ : ٦ سنقرئك فلا تنسى ٧ إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى) أي إنا قد عصمناك من نسيان شيء مما نقرئك إياه بتلقين الملك، لكن إن شاء الله أن تنسى شيئا فانما تنساه لانه تعالى هو الذي شاء ذلك لحكمة له فيه، لا لضعفك عن الحفظ وعروض النسيان الذي تخشاه، وقد عصمك الله منه . وهذا الاستثناء المنقطع لا يدل على أنه تعالى شاء أن ينسى شيئا منه بل هو كقوله تعالى حكاية

عن ابراهيم(ص) لقومه (ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً)وقيل ان الاستثناء لتوكيد النفي وقيل انه لما أراد نسخه

(و) إنه ﷺ كان يبلغ مايلقى اليه من القرآن بنصه وعبارته كما أمر فيه لا بمعناه كوحي الالهام وما يلقيه الملك في روعه) فيجمع بين الامر بالقول ومقوله المراد منه مثل (قل هو الله أحد) ولكنه عند ما كان ﷺ يريد تبليغ المعنى في أثناء كلامه الذي لم يقصد به تلاوة القرآن يذكر مقول القول كالذي تراه في كتابه إلى هرقل قيصر الروم وغيره وهو « ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً » الخ ونص الآية (٣:٦٤ قل يا أهل الكتاب تعالوا) الخ

(ز) ليتأمل القارىء قوله تعالى (١٠ : ١٥ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله. قل مايكون لي ان أبدله من تلقاء نفسي ، إن أتبع إلا ما يوحى الي، إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ١٦ قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون)

(ح) قد اشتمل هذا الكتاب على تحدي العرب وغيرهم به وصرح فيه بأن جميع الخلق عاجزون عن الاتيان بمثله في جملته ، وبسورة من مثله ،واستدل النبي بذلك على كونه من عند الله تعالى لامن عنده ، فظهر عجز العرب ثم عجز غيرهم عن ذلك كما بيناه في الكلام على إعجازه بلغته وأسلوبه ونظمه[1] وإعجازه بتأثيره وما أحدثه من الثورة العربية والانقلاب العالمي [2] ولم يكن شيء من هذا في استطاعة محمد ﷺ الذاتية ، ولا من استعداده الذي تدل عليه سيرته في شبابه

(ط) إنه قد نقل عنه ﷺ بأصح الروايات التي تواتر خبر بعضها أنه كان يبطيء عليه الوحي أحيانا فيضيق صدره ويشق عليه حتى قال المشركون

---

(١) راجع (آية الله الكبرى) في ص ٤٨١ من المجلد ٣٢ (٢) راجع ص ٤٨٤ - ٤٩٠ منه

مرة ان ربه (وقالت امرأة منهم إن شيطانه) ودعه أي تركه وقلاه أي أبغضه، فنزل الله تعالى عليه (وما ودعك ربك وما قلا) وحتى كان يرجيء جواب السائلين والمستفتين انتظارا له، وكان أكبر العبر وأوضح الدلائل على ما نريد هنا من هذه المسألة ما كان في قصة الافك اذ أذاع زعيم المنافقين (عبدالله بن أبي بن سلول) قذف السيدة عائشة أم المؤمنين وأحظى الازواج المطهرات عند رسول الله ﷺ بالفاحشة ، وصدق خبره بعض المؤمنين وتحدثوا به ، وقد كان كل ما ابتلي به من إفك المنافقين والكافرين دون هذه الحادثة إيلاما له ، حتى استشار من استشار في فراقها على علو مكانة أبيها عنده ، وسأل جاريتها بريرة هل رأت منها ما يريبها فحلفت إنها ما رأت ولا علمت قط ما يريبها فيها ، وكانت عائشة تبكي ليلا ونهارا ما يرقأ لها دمع وهي موقنة ان الله سيبرئها قالت : ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله في شأني وحيا يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ كلاما يتلى . ومكث ﷺ شهرا لا يوحي اليه حكمة منه تعالى، ثم نزلت آيات براءتها المعروفة في سورة النور ، فلو كان لاستعداده الشخصي ﷺ تأثير في نزول الوحي عليه أو لو كان الوحي نابعا من نفسه مع اعتقاد أنه من الله تعالى كما زعم الزاعمون لما أبطأ عليه في هذه الحادثة بل الكارثة العظمى

(ي) تقدم أصح الاحاديث المرفوعة في نزول الوحي عليه ﷺ ورعبه منه في أول الامر وانه كانت تتغير حاله حتى يتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد، وان وزنه كان يزيد في تلك الحال ، وقد بينا ان ذلك من تأثير غلبة الروحانية عليه باتصاله بجبريل الروح الامين . وكان أصحابه يعرفون حين ينزل عليه الوحي وهو معهم. قال عبادة كان النبي ﷺ اذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه . رواه مسلم . وفي حديث الصحيحين والنسائي أن يعلى بن أمية كان يقول لعمر ليتني أرى النبي ﷺ حين ينزل عليه الوحي فلما كان بالجعرانة وعليه ثوب قد أظل به عليه جاءه الوحي فأشار عمر الى يعلى أن تعال ، فجاء يعلى فأدخل رأسه فاذا هو ﷺ محمر الوجه يغط لذلك ساعة (أي مدة قليلة) ثم سري عنه اه باختصار

تأول هذا أعداؤه (ص) من الافرنج وتلاميذهم بأنه كان يعرض له نوبات

عصبية وتشنجات (هستيرية) وما أبعد الفرق بين حاله تلك وحالة أولي الامراض العصبية في المزاج فقد كان مزاجه ﷺ معتدلا ولعله الى الدموي العضلي أقرب، وفي اعراضها وآثارها ونتائجها ، فذو النوبة العصبية يعرض له في أثرها من الضعف والاعياء البدني والعقلي ما يرثي له العدو الشامت ، وأما صاحب تلك الحالة الروحانية العليا فكان يتلو عقب فصمها وتسريها عنه آيات أو سورة كاملة من القرآن الذي بينا في هذا البحث بعض وجوه اعجازه اللفظي والمعنوي وما فيه من علم الغيب والحكمة والتشريع الذي لم يعرف البشر له مثلا عن حكمائهم ولا عن أنبيائهم ، ولا يرجى أن يعرفوا له نظيرا في سائر أجيالهم ، لانه هو الذي ختم الله تعالى به النبوة وتعاليم الوحي الاعلى ، ونحن لا نزال نتحدى به بقية البشر ان يأتوا بمثله ، كما تحداهم رسول الله ﷺ في عصره ، وانما المجنون بغروره وتعصبه من يسمى هذا الكمال العلمي الاصلاحي جنونا، إلا أن يجعل الجنون من أسماء الاضداد، أو يجعل اسما لما فوق الانسانية ودون الربوبية من الكمال

(ك) تدعلم مما ذكرناه من علوم القرآن، ومقاصده في ترقية نوع الانسان، أنه لم يكن محمد ﷺ يدري شيئاً من مبادئها ، ولا من حاجة البشر اليها ، فضلا عن وسائلها وفروعها في العبادات الروحية الصحية الاجتماعية والسياسية والادارة ، فمسألة الطهارة الاسلامية وحدها تدمغ أوربة في وثنيتها ونصرانيتها وفلسفتها

فنتيجة هذه المقدمات الإحدى عشرة أن القرآن وحي من الله تعالى ليس لاستعداد محمد النفسي ولا التاريخي ولا اللغوي فيه شيء ما ، وما كان إلا مبلغاً له كما تلقاه ، وليس معنى كونه كلام الله أن الله فما ولسانا نطق به ، ولا أنه تمثل رجلا فتكلم كما في التوراة وانما معناه عندنا أنه تعليم من الله بصفة خاصة كما قال (الرحمن علم القرآن) وقال (نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) فكلام الله عندنا صفة من صفات كماله كعلمه إلا أن وظيفة العلم انكشاف المعلومات للعالم ووظيفة الكلام كشفها لمن شاء بما شاء، فالبشر يبلغون كلامهم النفسي بنطق اللسان وبالقلم وبالاشارات وبالآلات، والله تعالى يبلغه بالوحي الذي لا يعرفه الا الملائكة والانبياء

أصول الدعوة المحمدية ومقاصدها العامة

﴿التي أجملناها من قبل في إحدى عشرة مقدمة نلخصها للتذكير وبيان نتيجتها﴾

(١) اصلاح ما أفسده أهل الكتاب المعروف تاريخهم في الجملة ومن سبقهم من أتباع الانبياء الاقدمين بالاولى من أركان الاصلاح الديني الالهي الثلاثة وهي الايمان بالله ، والايمان بالبعث والجزاء ، والعمل الصالح الذي تتزكى به الانفس البشرية ، فأنى لرجل أمي أن يعلم هذه الاصول وما أفسد أتباع الانبيا منها ويستقل عقله بما أشرنا اليه من إصلاحه المعقول الموافق للفطرة البشرية ؟ بل كان يعجز عن ذلك جميع المتكلمين والحكماء الراسخين من تلك الامم

(٢) بيان ما كان يجهله البشر من حقيقة النبوة والرسالة ووظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام وفيه بحث مستفيض في حقيقة الآيات الكونية التي أيدهم الله بها وما يشبهها من خوارق العادات وضلال الماديين والخرافيين فيها

(٣) بيان ان الاسلام دين الفطرة السليمة ، والعقل والفكر ، والعلم والحكمة ، والبرهان والحجة ، والضمير والوجدان ، والحرية والاستقلال ، والشواهد على هذه الاصول لترقية نوع الانسان وبلوغه بها سن الرشد من آيات القرآن ، ولا تزال فلسفة جميع البشر القديمة والحديثة قاصرة عن تشريع يحتوي هذه الاصول كلها ، وما جاء في القرآن من فروعها أو شروط التحقق بها ،

(٤) الاصلاح الاجتماعي الانساني والسياسي وتحقيقه بالوحدات الثمان وحدة الامة ، وحدة الجنس البشري ، وحدة الدين ، وحدة التشريع بالمساواة في العدل ، وحدة الاخوة الروحية والمساواة في التعبد ، وحدة الجنسية السياسية الدولية ، وحدة القضاء ، وحدة اللغة ، ولم تأت بهذه الوحدات البشرية في ذلك كله ولا في أكثره دين ولا تشريع الا دين القرآن وهدي محمد عليه الصلاة والسلام

(٥) المزايا العشر للتكاليف الشخصية في الاسلام وهي الجمع فيها بين حقوق الروح والجسد ، وكون الغاية منها سعادة الدنيا والآخرة معا ، وكونها يسراً لا حرج فيها ولا عسر ولا إرهاق ، وكونها قصدا واعتدالا في كل أمر ، لا غلو فيها ولا اسراف ، ولا سيما الزينة والطيبات ، وكونها معقولة سهلة الفهم ، واشتمالها

على العزيمة والرخصة ، وكونهما مراعى فيها درجات البشر في العقل والفهم وعلو الهمة وضعفها ، وبناء المعاملات فيها على الظواهر دون البواطن ، وبناء العبادات فيها على الاتباع دون الابتداع ، حتى لا يكون فيها تحكم للآراء والرياسات

(٦) بيان أن حكم الاسلام السياسي الدولي قائم على أساس سلطة الامة واجتهاد أولي الامر على أساس درء المفاسد ومراعاة المصالح والشورى ، والعدل المطلق والمساواة فيه، وحظر الظلم ، ومراعاة الفضائل في الاحكام، ولم يوجد في الدنيا دولة ولا حكومة تساوي الاسلام في ذلك ، وفي هذا البحث عدة أصول وقواعد

(٧) الاصلاح المالي من جميع النواحي التعبدية والادبية والخلقية والاجتماعية والدولية بما لو اتبعته الدول والامم لما وجد في الدنيا فقر مدقع ، ولا غرم مفجع، ولا بلشفية باغية ، ولا رأسمالية طاغية ، ولا طمع يهودي ، ولا زهد مسيحي ، ولا تقشف هندي ، ولا بغي إفرنجي ، ولا تعطيل مصلحة عامة ، ولا إرهاق منفعة خاصة، وإذا لاستغنى البشر به عن الاشتراكية المعتدلة لانه الاشتراكية المثلى ،

(٨) اصلاح نظام الحرب ودفع مفاسدها وقصرها على ما فيه الخير للبشر . وفيه قواعد مؤيدة بشواهد الآيات البينات المثبتة أن دين الاسلام هو وحده دين السلام ، وأن شرور الحروب وطغيانها وتأريثها للعداوات بين البشر لا يمكن درؤها إلا باتباع قواعده في قصر الحرب على الدفع ومنع الاعتداء ، وإيثار السلم على القتال ، والصلح على الخصام ، ومراعاة الحق والعدل في المعاهدات ، وخلوها من الدخل الذي يفسدها بجعلها حجة لغلب أمة على أمة ، وإرهاق دولة لدولة ، وقد أوردنا فيه بضع قواعد مؤيدة بالنصوص والشواهد

(٩) إعطاء النساء جميع الحقوق الانسانية والدينية والمدنية من زوجية ومالية وغيرها وتكريمهن واحترامهن ، وهو ما لم يوجد في دين ولا قانون سابق ولا لاحق

(١٠) تحرير الرقيق ورفع الظلم والاهانة عنه وتشريع الوسائل لمنع تجديده، وإيجاب الاحسان اليه ، الى أن يتم تحريره وابطاله

تحدي العالم بتعاليم الوحي المحمدي

تلك عقائد دين محمد، وقواعد تشريعه، وأصول اصلاحه الاجتماعي والسياسي، مسرودة بالاجمال، مؤيدة بشواهدها من آيات القرآن، مجردة من حلل المبالغات الخطابية، وعاطلة من حلي الخلابة الشعرية، ونحن المسلمين نتحدى الفلاسفة والمؤرخين من جميع الامم، ولا سيما أحرار الافرنج، بأن يأتونا بمثلها أو بما يقرب منها من تاريخ أعظم الانبياء، وأشهر الحكماء، وأبلغ الادباء، وأنبغ ساسة الاولين والآخرين، مع صرف النظر عن كونه كان كما شرحنا أميا نشأ في الاميين، وجاء بذلك كله بعد استكمال سن الاربعين، وقد بينا الفرق العظيم بينه وبين موسى وعيسى أعظم أنبياء بني اسرائيل صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين

التنفيذ العملي

وأما تنفيذه ﷺ لهذه التعاليم فقد تم في عشر سنين من تاريخ الهجرة الذي كان بدء حياة الحرية، وقد ظل يدعو إلى أصولها المجملة عشر سنين أولا بالسر، ثم بالجهر، مع احتمال الاضطهاد والايذاء والتعذيب والتهديد بالقتل والنفي، الذي اضطر المؤمنين إلى هجرة بعد هجرة، وبعد الهجرة العامة بالتبع له، كانوا في حالة حرب وقتال مع المشركين كافة، وكذا أهل الكتاب وكان ﷺ عقد معهم معاهدة بتأمينهم على دينهم وأنفسهم وأموالهم بشرط ألا يظاهروا المشركين عليه فنقضوا عهده وظل المسلمون مدة ست سنين مدافعين عن أنفسهم في كل قتال دفاع الضعيف المؤيد من الله للاقوياء المخذولين، وفي أواخر السادسة عقد معاهدة الحديبية مع المشركين على وضع القتال عشر سنين، ثم غدر المشركون ونقضوا العهد، فعادت حالة الحرب، وفتح المسلمون مكة عاصمة قريش الدينية والدنيوية، ومثابة جميع الامة العربية، في سنة ثمان من الهجرة، وحج النبي ﷺ حجة الوداع في آخر سنة عشر، وأنزل الله تعالى عليه فيها (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

في عشر سنين وقع توحيد الامة العربية التي كانت أعرق أمم الارض في الشقاق والتفرق والعداء، وإنما كان ذلك بتأثير كتاب الله وتأييده عز وجل

رسوله كما قال (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ،لو أنفقت مافي الارض جميعاً ماألفت بين قلوبهم ،ولكن الله ألف بينهم إنه عليم حكيم) وبما أعده تعالى له من مكارم الاخلاق وما وفقه وأرشده اليه من حسن السياسة المبينة في قوله تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر) الآية . وذلك ان العرب كانت أعصى خلق الله على الخضوع والطاعة والانقياد، لعراقتهم في الحرية، وشدة بأسهم ، وعدم وجود الملوك المستبدين القاهرين والرؤساء الروحيين المسيطرين فيهم

فليدلنا علماء التاريخ العام على نبي من الانبياء ، أو حكيم من الحكماء ، أو ملك من الملوك الفاتحين والمشترعين، ربى أمة من الامم في عشر سنين، فجعلهم أهلا لفتح الامصار ، والسيادة على الامم الحضرية وسياستها بالعدل والرحمة ، وتحويلها عن أديانها ولغاتها بالاقناع وحسن القدوة ، ولا نشترط أن تكون هذه الامة التي علمها وهذبها ووحدها رجل واحد كالامة العربية في أميتها وجاهليتها وتفرقها وتعاديها ومرور القرون عليها وهي تتوارث هذه الصفات ، فأين الوحدة الجرمانية والوحدة الطليانية في عصر العلوم والفنون والفلسفة والقوانين ونظم الاجتماع والحرب، من الوحدة العربية المحمدية في عهد الامية والجاهلية ؟ بل أين الوحدة الاسرائيلية في عهد الآيات والعجائب الكونية من الوحدة العربية الخاصة، ثم الوحدة الاسلامية العامة في عهد آيات القرآن وعلومه الالهية وبيان السنة المحمدية لها؟

ثم نفذ ذلك التشريع الاعلى، والهداية المثلى، خلفاء محمد الراشدون، وكثير من ملوك المسلمين الصالحين، بما شهد لهم به تاريخهم، واعترف لهم به المؤرخون المنصفون من الافرنج وغيرهم، بأنهم جددوا بهما الحضارة الانسانية ورقوها ،وأحيوا العلوم والفنون الميتة وهذبوها واستثمروها ، وكانوا اساتذة جميع من جاء بعدهم فيها

ثم كان من قوة هذا الدين ومتانته أن عادته جميع أمم الافرنج وحاربته بجميع قواتها الصليبية ،الهمجية منها والمدنية ، ثم بعلومها وفنونها ونظمها المدهشة، ولا تزال تحاربه وتبذل الملايين لتحويل أهله عنه ، بعد زوال قوة دوله، وغلبة الجهل على شعوبه ، ولم تستطع أن ترد رجلا واحداً عنه قد كان عرفه . أفما آن لها أن تعقل أنها لو اعترفت له بحقه، لأمكنها أن تصلح العالم كله به ؟؟

النتيجة المقصودة بالذات

(قيام الحجة البالغة على ثبوت نبوة محمد العامة)

اذا عجز حكماء هذا العصر وعلماء الحياة والاجتماع والاخلاق والمؤرخون من أحرار الافرنج وغيرهم عن إخبارنا بوجود رجل مثل محمد فيما علم من تاريخه المعروف المشهور جاء بمثل هذا القرآن في خصائصه ولا سيما التعاليم التي لخصنا كلياتها في هذا البحث، وقدر أن ينفذها وربي بها أمة كالامة العربية يكون لها بها من الاثر الديني والمدني في العالم مثل أثرها — وانهم لعاجزون عن ذلك قطعاً — أفلا يكون عجزهم هذا برهاناً على ان دين محمد وكتاب محمد وهدي محمد وتربية محمد للامة العربية من خوارق العادات،

واذا كان هذا حقاً واقعاً ماله من دافع، فما المانع من عد هذه التعاليم وحياً من رب العالمين، العليم الحكيم ؟ وما معنى كونها وحياً إلا أنها علم أفاضه الله تعالى على روح محمد وقلبه، بطريقة خفية غير طرق العلم الكسبية المعروفة للبشر عامة، وفوق الالهامات القليلة التي تؤثر عن بعض الخاصة ؟ وما معنى كونها معجزة إلا أنها جاءت على غير المعهود في علم البشر الكسبي، وخلاف المقرر في علم النفس والفلسفة العقلية وسنن الاجتماع، وتواريخ الامم، وسير الحكماء والعلماء والملوك، وفوق المعروف عن الانبياء أيضاً وإن كانت من جنسها . فالانبياء قد أنبؤا ببعض الغيوب الحاضرة في عصرهم والتي تأتي بعدهم - وأنبأ محمد (صلوات الله عليه وعليهم) بمثلها وبغيوب سابقة كانت قبل نبوته بقرون، ولكن لم يجيء أحد منهم بمثل ما تقدم اجماله في المقاصد العشرة العالية من العلم والحكمة والتشريع،

قد بينا لكم أيها العقلاء الاحرار بطلان ما اخترعته عقول المنكرين لنبوة محمد ﷺ من العلل والآراء لجعل ماجاء به من العلم الالهي الاعلى، والتشريع المدني الاسمى، والحكمة الادبية المثلى، من استعداده الشخصي، وما اقتبسه من بيئته ومن أسفاره، مع تصغيرهم لهذه المعارف جهلا أو تجاهلا، وعلمتم أن بعض ماقالوه افتراء على التاريخ، وان ما يصح منه عقيم لاينتج ما ادعوه، وعلمتم انه في جملته مخالف للعلم والفلسفة وطباع البشر وسنن الاجتماع ووقائع التاريخ

ونحن نتحداكم الآن بالاتيان بعلل أخرى لما عرضناه على أنظاركم من وحي الله تعالى وكتابه لمحمد ﷺ مع القطعي من تاريخه تالى يقبلها ميزان العقل المسمى بعلم المنطق وما ثبت عندكم في هذا العهد من علم النفس وعلم الاجتماع وحوادث التاريخ وفلسفته

فان لم تستطيعوا - ولن تستطيعوا - أن تأتونا بعلل تقبلها العقول، وتؤيدها النقول، فالواجب عليكم أن تؤمنوا بنبوة محمد ﷺ ورسالته، وبكتابه المنزل عليه من عند الله تعالى لاصلاح البشر، وأن تتولوا الدعوة إلى هذا الايمان، ومعالجة أدواء الاجتماع الحاضرة به، بعد أن عجزت علومكم الواسعة، وفلسفتكم الدقيقة، عن وقف سريان عدوى فساد الاباحة وعبادة الشهوات وفوضى الافكار في الامم، وعجزت عن منع دول حضارتكم أن تنفق معظم أموالها المنتزعة من شعوبها ومستعمراتها في الاستعداد لحرب البغي والعدوان المدمرة، وتأريث العداوات بين شعوب الارض كافة، فقد كان غاية شوط هذه العلوم الواسعة عند هذه الدول أعظم نكبة على البشر، وأنتم أيها العلماء لم تقصدوا إلا أن تكون نعمة تتم بها سعادة البشر

ألا انه قد ثبت بالحس والعيان ان العلم البشري وحده لا يصلح أنفس البشر لأنهم لا يخالفون أهواءهم وشهواتهم الشخصية والقومية باتباع آراء أفراد منهم، وانما يدينون بوازع الفطرة، لما هو فوق معارفهم البشرية وهو ما يأتيهم من ربهم، ولا يوجد في الارض دين عام كامل صحيح ثابت إلا دين الاسلام، وقد بينا لكم أصول تشريعه الروحي والسياسي والاجتماعي الصالح لكل زمان ومكان، وانه دين السلام والحق والعدل والمساواة التي تعطي كل شعب وكل فرد حقه، وبها وحدها يمكن البرء من الادواء المالية والسياسية والحربية والاجتماعية كلها

قد دعا بعض العلماء منكم إلى عقد مؤتمر من كبار علماء الشعوب كلها للبحث في الوسائل التي يمكن أن تقي حضارة العصر من الدمار، ولئن عقد هذا المؤتمر فلن يكون أمثل ولا أرجى من هذه المؤتمرات التي تعقدها الدول في جامعة الامم وعواصم السياسة، وهي لا تزد الادواء إلا إعضالا، والاخطار إلا تفاقما، وانما الدواء الواقي المضمون بين أيديهم وهم لا يبصرون، وحجته البينة تناديهم ولكنهم لا يسمعون (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون)

﴿ سؤال علماء الافرنج عن شبهاتهم على الدعوة المحمدية ﴾

(بعد تبليغهم لحقيقتها ، ومكان أخبار القرآن منها)

وأما أنتم أيها العلماء المستقلو العقول والافكار ، فالمرجو منكم أن تسمعوا وتبصروا ، وأن تعلموا فتعملوا ، ولكن دعوة القرآن لم تبلغكم حقيقتها على الوجه الصحيح الذي يحرك إلى النظر ، لان الاسلام ليس له زعامة ولا جمعيات تبث دعوته ، ولا دولة تقيم أحكامه وتنفذ حضارته ، بل صار المسلمون في جملتهم حجة على الاسلام وحجابا دون حقيقته ، وأرجو ان يكون هذا البحث كافياً في بلوغ الدعوة اليكم بشرطها المناسب لحال هذا العصر ، فان ظهر لكم بها الحق فذلك ما نبغي ونرجو لخير الانسانية كلها ، وإن عرضت لكم شبهة فيها فالمرجو من حبكم للعلم ، وحرصكم على استبانة الحق، أن تشرحوها لنا لنعرض عليكم جوابنا عنها ، والحقيقة بنت البحث كما تعلمون

ولا أراكم تعدون من الشبهات الصادة عنه (بعد ان ثبتت أصوله بما ذكرنا ، ان فيه أخبارا عن عالم الغيب لا دليل عليها عندكم ، فانما مصدر الدين عالم الغيب) ولو كان مما يعلمه البشر بكسبهم لما كانوا في حاجة الى تلقيه من الوحي ، وقد بينا ان تعاليم الاسلام قد أثبتت أنها وحي من عالم الغيب وقامت برهانا على وجود الله وعلمه وحكمته ، فوجب أن تؤخذ أخباره بالتسليم ، وحسبكم انه ليس في القرآن منها ما يقوم البرهان على استحالته

وأما أخبار القرآن عن عالم الغيب والشهادة من تكوين وتاريخ فمن معجزاته الايجابية أنه جاء فيه كثير من التعبيرات التي كشف العلم والتاريخ في القرون الاخيرة من معانيها مالم يكن يخطر في بال أحد من أهل العصر الذي نزل فيه كما بيناه في بحث الاعجاز ، وفي مواضع أخرى من تفسير المنار ، ومن معجزاته السلبية انه لم يثبت على توالي القرون بعد نزوله شيء قطعي ينقض شيئا من أخباره القطعية، على ان أخباره هذه انما جاءت لاجل الموعظة والعبرة والتهذيب ، ويكفي في هذا أن تكون الاخبار على المألوف عند الناس ، ولا ينتقد عليها اذا لم تشرح

الحقائق الفنية والوقائع لأنها ليست مما بعث الرسل لبيانه، ولا يمكن الوقوف عليها إلا بالتعمق في العلم أو الاستعانة بالآلات التي لم تكن معروفة عند المخاطبين الاولين بالكتاب، بل لا يصح أن يأتي فيها ما يجزمون بانكاره بحسب حالتهم العلمية لئلا يكون فتنة لهم، وقد قال نبي الانسانية العام «أنتم أعلم بأمور دنياكم» رواه مسلم في صحيحه

ومن دقائق تعبير القرآن في النوع الاول ان مادة الخلق « دخان » وهو عين ما يسمى السديم ، وان السموات والارض كانتا رتقا أي مادة واحدة متصلة ففتقهما الله وجعل كلا منهما خلقا مستقلا، وانه جعل من الماء كل شيء حي، وانه خلق جميع الاحياء النباتية والحيوانية أزواجا فجعل في كل منها ذكراً وانثى ، وانه جعل كل نبات موزونا وانه أرسل الرياح لواقح وأمثال ذلك كثير

وأعجب منه بيان كثير من سنن الاجتماع البشري التي لم يهتد البشر اليها بالبحث العلمي التدريجي الا في عدة قرون فمن المناسب لهذا وما سبقه من عجائب القرآن ان أختم هذا البحث كله بقوله عز وجل

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ؛ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ، أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ)

﴿ صدق الله العظيم ، وبلغ رسوله الكريم ، والحمد لله رب العالمين ﴾

﴿ الشبهات على القرآن ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام ﴾

كنت عازما على إتباع هذا البحث ببيان ما لعلماء هذا العصر من الشبهات على القرآن العظيم ونبوة محمد ﷺ والاجوبة عنها ، وكتبت من ذلك شبهة موسيو درمنغام صاحب كتاب (حياة محمد) على مسألة الصلب والفداء . ثم بدا لي أن أكتب في هذا رسالة مستقلة ألخص فيها ماسبق لي نشره في مجلة المنار وتفسيرها ، ومنه ما طبع مستقلا كرسالة (عقيدة الصلب والفداء) وأزيد عليه ما أقف عليه بعد نشر هذا البحث ، والله الموفق وهو المستعان

خطبة الملك السعودي في حجاج هذا العام

(في ٥ ذي الحجة سنة ١٣٥١ وحضرها ألف أو يزيدون)

الملك عبد العزيز آل سعود خطيب مفوه ، واعظ ديني مكثر ، وقد خلت القرون ولم ير المسلمون ملكا ولا أميراً خطيبا واعظا ، وهو في كل موسم من مواسم الحج يدعو كل من يزور جلالته بمكة المكرمة من حجاج الاقطار المتازين بالعلم والادب والوجاهة الرسمية وغير الرسمية إلى مأدبة كبيرة في قصره فيلقي عليهم في أثنائها خطابا حافلا بالوصايا الدينية والسياسية ، ويسمح لمن يشاء منهم بالكلام والخطابة في المصالح الاسلامية العامة ، فيكون هذا الاجتماع بما يكون فيه من التعارف بين كبراء المسلمين من أهم فوائد موسم الحج التي كان يتمناها عقلاؤهم منذ بدء اليقظة الحديثة، وكانت متعذرة قبل عهد الدولة العربية السعودية

وقد كانت خطبة هذا الموسم ممتازة بأنه صرح فيها بما يدل على توجه عزمه إلى النهوض بخدمة جديدة للاسلام ، وخدمة أخرى مثلها للأمة العربية

لهذا رأيت أن أنشر جلها في المنار لأجل تعميم فائدتها ومطالبة جلالته بتنفيذها

(قال الملك بعد مقدمة في فضل الاسلام ، وسوء حال المسلمين عامة والعرب خاصة)

«فاذا أراد العرب اعادة مجدهم القديم فما عليهم إلا أن يعتصموا بحبل الله ، وأن يتمسكوا بما أمر الله به ، أما الادعاء بان الاغيار هم سبب هذه الفرقة وهذا التخاذل فما هو بصحيح ، لأن المسلمين والعرب اذا كانوا في منعة من التعاضد والتكاتف فليس هناك من قوة في مقدورها مهاجمتهم واذلالهم . يقول المسلمون والعرب ان أسباب ضعفنا هو عدم سيرنا في الطريق التي سار عليها الغربيون في تمدينهم وحضارتهم ، وان دساتيرهم — أي الغربيين — وأنظمتهم هي الكفيلة بتمديننا وتقويتنا ، وهذا من أسخف الاقوال التي لايزال يثيرها بعض الكتاب والخطباء ويلوكونها بألسنتهم . يظن هؤلاء الناس ان حرية الغربيين ودساتيرهم كفيلة باسعاد الناس أكثر مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله وهذا خطأ واضح ، لان الدين الاسلامي قد كفل المساواة بين كافة المسلمين وآخى بينهم أكثر مما جاء في الدساتير الغربية ، وأية مساواة

أعظم من تلك المساواة التي جاء بها الاسلام فلم يجعل فوارق في الحقوق بين الملك والصعلوك، ولم يفضل أحدهم على الآخر إلا بالتقوى، فالمسلمون لا ينقصهم إلا الرجوع الى عبادة الله وحده، عبادة خالصة لوجه الله، فاذا عبدنا الله جل وعلا حق عبادته زالت الضغائن من قلوبنا، فتوحدت نفوسنا، وسرت روح التآخي والتحابب بيننا

« ان مصائبنا من أنفسنا لأننا نحن أعداء أنفسنا، والاغيار لم يقدروا على اذلالنا إلا بعد أن رأوا منا العداوة لبعضنا، فاللوم واقع — والحالة هذه — علينا لا عليهم، لذلك يجب ان نصلح أنفسنا، وان نطهرها من الاضغان العالقة بها، وان نكون مسلمين حقاً، اذا كنا نريد النهوض والخلاص، وان نعتصم بحبل الله جميعا فنترك كل المنهيات والمنكرات، اذا رغبنا في النجاح والفلاح

« يجب ان يعنى كل واحد منا بأمره أولا وبأمر اخوانه ثانيا، وان يبذل جهده في إصلاح نفسه، واصلاح اخوانه، وان نقوم المعوج من أعمالنا وأخلاقنا، وان يوجه كل منا مجهوداته نحو هذه الخطة المثلى. وأما أنا فانني أعمل جهد الطاقة في سبيل اعلاء كلمة الدين واحلال عقيدة السلف الصالح في نفوس المسلمين والعرب، لذلك

١ — أنا مبشر أدعو لدين الاسلام ولنشره بين الاقوام

٢ — أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هي: التمسك بكتاب الله وسنة رسوله وما جاء عن الخلفاء الراشدين، أما ما كان غير موجود فيها فأرجع بشأنها لاقوال الائمة الاربعة فآخذ منها ما فيه صلاح المسلمين.

٣ — أنا مسلم وأحب جمع كلمة الاسلام والمسلمين وليس أحب عندي من ان تجتمع كلمة المسلمين ولو على يد عبد حبشي، وانني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية في سبيل ذلك.

٤ — أنا عربي وأحب عز قومي، والتآلف بينهم، وتوحيد كلمتهم، وأبذل في ذلك مجهوداتي، ولا أتأخر عن القيام بكل ما فيه المصلحة للعرب وما يوحد أشتاتهم، ويجمع كلمتهم.

٥ — أنا مسالم ومدافع، انا مسالم للناس وأحب النصيحة قبل كل شيء، لان الدين النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم، وانا مدافع لأنني لنا

حاولت في وقت من الاوقات ان أعتدي على اخواني وأبناء قومي، وكنت في كل وقت أقابل ما يصدر إليّ منهم من اساءة أو خطيئة بصدر رحب على أمل ان رجعوا الى الصواب ، ولكنني اذا رأيت تماديا في الغي والاساءة أضطر حينئذ للدفاع .

«إن السلف الصالح هم قدوة المسلمين، وخير قدوة، وما رفعهم الى ذلك إلا خصلتان: التمسك بكتاب الله وما جاء به رسول الله ، والصدق والتضحية في سبيل الله .

٢— الصبر على القضاء والشكر على العطاء . وكلاهما من الله تعالى ، ونحن اليوم نحمد الله على ان كل مانسمعه من المسلمين والعرب يشجع ونرجو ان ينبت نباتا حسنا ، والانسان الطيب هو الذي يقتدي بالسلف الصالح في عبادة ربه، وبالصدق والتضحية والصبر والشكر، والمسلمون ينقصهم معرفة الزعماء والاشخاص ونفسياتهم فان هنالك أشخاصا من المسلمين يتظاهرون بالغيرة والتضحية ، وهم في حقيقة الامر على عكس ذلك . يتظاهرون بالغيرة ويسمون في الخفاء— لتنفيذ مآربهم الشخصية والتجسس على أحوال اخوانهم . وهذا أمر يؤسف له ، لان الاضرار التي لحقت المسلمين والعرب جاءت عن هذه الطريقة

«الاسلام عزّ علينا جميعا ورهبة في قلوب أعدائه كبيرة، فواجب المسلم اليوم في كل مكان ان يقوم بالدعوة الى عبادة الله عبادة خالصة ، وان يسعى لاصلاح شؤون المسلمين اصلاحا حقيقيا لا نظريا ، وان يكون كل ذلك بالطرق المفيدة المنتجة لان هنالك طرقا أخرى تضر بالمسلمين والعرب اكثر مما تنفعهم اذا اتبعناها، وانني لعلى يقين بأن فريقا كبيرا من الاغيار لا يريدون الضرر بالاسلام والعرب، ولكن— وياللأسف— ان فريقا من المسلمين يشجعون أولئك على إيذاء المسلمين، اذاً فالضرر منا وعلينا، ولا عتاب على الاغيار من ذلك

« لقد تفشى الجهل، وساد التخاذل بين المسلمين، فوصلنا الى ما وصلنا اليه من الحالة الراهنة التي تعرفونها ، ولم يبق من الدين الا اسمه، وتفرقنا ايدي سبا، وأصبح المسلمون فرقا وشيعا . اما أولئك الذين يطبلون ويزمرون لحضارة الغرب ومدنيته ويريدون منا ان نتزل عندها فنتمثلها في بلادنا وبين أقوامنا فانني أسوق اليهم الحديث بتوجيه أنظارهم الى هذه الازمة الخانقة والى هذا التبلبل السياسي،

والى هذه الفوضى الاجتماعية السائدة في تلك البلاد، فان نظرة واحدة لمن يتدبر هذه الاوضاع السائدة في هذه الايام يلمس فساد تلك النظريات المتسلطة على عقول السذج من المسلمين ومن العرب

اما المسائل الصناعية والزراعية فان أوامر الله تعالى ونبيه بالاخذ بها صريحة، وكذلك في أعمال رجال السلف الصالح أكبر دليل على العناية بها، والاخذ بأسبابها ولذلك فالقول بأن الصناعة والزراعة من نتائج الحضارة الغربية وحدها ليس بصحيح، وكذلك الطيارات والدبابات والمدافع، والاعتاد الحربية التي تدافع بها الامم عن نفسها وتذود بها عن حياضها هي من الاعمال الصناعية أيضاً، ومما أمر الله بها صراحة فقال في كتابه العزيز (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) ولذلك يمكنني ان أقول بأنه لايوجد في الدنيا مدنية تسعد البشر وتكفل راحتهم أحسن من مدنية الاسلام، ولايوجد دستور يكفل حقوق الراعي والرعية وحقوق الناس كافة، ويؤمن المساواة بين الصغير والكبير وبين الملك والصعلوك، وينصف المظلوم من الظالم كالقرآن الكريم، ومافيه من الآيات المحكمات، وما جاء عن نبيه محمد ﷺ لذلك نحن ننصح المسلمين كافة، والعرب خاصة، وننصح البشر على الاطلاق للعمل بما جاء في كتاب الله جل وعلا، وعلى لسان نبيه الكريم فان السعادة في الدنيا والآخرة لا تكون الا بذلك.

«فريق من المسلمين ينقمون علي لأنني أدعو لعبادة الله عبادة خالصة ولأنهم يريدون ان أرتكب المنهيات فآمر باقامتها في البلاد، فأنا أبرأ الى الله من هذه الدعوة الباطلة، وأفخر بأنني سلفي محمدي على ملة ابراهيم الخليل.

«دستوري ونظامي وقانوني وشعاري دين محمد ﷺ فاما حياة سعيدة وإما ميتة سعيدة.

(وههنا نفي عن نفسه دعوى الرياسة على علو نسبه العربي الذي لايعلوه إلا نسب آل الرسول ﷺ ثم قال)

«أنا عربي ومن خيار الاسرة العربية، ولست متطفلا على الرآسة والملك، فان آبائي وأجدادي معروفون منذ القدم بالرآسة والملك، ولست ممن يتكئون على سواعد الغير في النهوض والقيام وانما اتكالي على الله ثم على سواعد نا يتكيء الآخرون ويستندون

«انا لا أفتش ، ولا أسعى للرآسة ، ولا أريد علواً في الارض ولا سعادة ، وانما يهمني في الدرجة القصوى جعل كلمة الله هي العليا ، ولا يهمني في هذا الشأن ما يعترضني في الطريق من المصاعب والمتاعب

«لقد حاربتنا جيوش جرارة في أدوار مختلفة منذ ان قمنا بهذه الدعوة المباركة ، فكان نصيبها رغم كثرة عديدها وعددها الفشل والخسران ولله الحمد

« ماذا يريدون من ابن سعود ؟ ماذا عمل ابن سعود ؟

« هذه أعمالي واضحة بينة ، أزلت كل شبهة ، واقمت كل معروف ، ونهيت عن كل منكر ، وحجتي في ذلك كتاب الله وسنة رسوله

«انني ابرأ الى الله من كل محرم ان ابيحه ، وابرأ الى الله من كل منكر ان آمر به ، وانا على استعداد لمحاجة كل من يريد محاجتي بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ (وههنا تنصل من دعوى الخلافة وصرح بعدم إمكانها ثم قال)

«وانني أتمنى ان يتم جمع المسلمين وتوحيد كلمتهم ، واني لعلى استعداد لأن أكون انا وأسرتي كجندي بسيط اجاهد في هذا الشأن ، ولن أدخر جهداً في سبيل توحيد بلادي ، وتوحيد كلمة العرب وتأسيس الوحدة بين العرب ، واذا كنت انا أسعى في ذلك فلست اريد من وراء ذلك جزاءاً ولا شكوراً ، وانما يهمني وأتمنى من صميم القلب ان يتم لم شعث المسلمين وان يسالم بعضهم بعضاً فيكفون الاذى عن أنفسهم

«انا مسلم عربي ، رأست قومي بعد مصاعب طويلة ولا فخر في ذلك ، الآن ورائي جيوش جرارة لا تقل عن اربعمائة ألف مقاتل : إن بكيت بكوا ، وإن فرحت فرحوا ، وإن امرت نزلوا على إرادتي وأمري ، وإن نهيت انتهوا . وهؤلاء هم جنود التوحيد إخوان من طاع الله ، يقاتلون ويجاهدون في سبيل الله ولا يريدون من وراء ذلك إلا رضاء الباري جل وعلا . وان هذه القوة هي موقوفة لتأييد الشريعة ونصرة الاسلام في الديار التي ولاني الله أمرها ، أعادي من عادى الله ورسوله ، وأصالح فيها من لا يعادينا ولا يناوئنا بسوء ، وأني وجندي جنود في سبيل جعل كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر . نسأل الله ان يأخذ بيدنا ويوفقنا لما يحبه ويرضاه . اه المراد من هذه الخطبة وسنعلق عليها في الجزء الآتي

بدعة الزيادة في الاذان أو عليه

(تاريخها ومبتدعها ومنكروها وادعاء مجلة مشيخة الازهر شرعيتها)

(سئلنا عن هذه الزيادة فأفتينا في مجلة المنار بأنها بدعة منكرة ، وسئلت عنها مجلة مشيخة الازهر فأفتت بأنها بدعة حسنة ، ورد علينا مفتيها الشيخ يوسف الدجوي رداً ضمنه تلك البهائت السبع المفتريات ، التي فضحنا جهله وكذبه فيها بثلاثة عشر مقالا متتابعات ، وهذا مقال خاص برد شبهاته على بدعة الاذان)

الاذان شعيرة من شعائر الاسلام التعبدية مروي بالتواتر والعمل من عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، منقول في جميع كتب السنة وفقه أئمة اهلها ، معدود الكلمات ، موصوف الاداء ، وكل عبادة هذا شأنها في ثبوتها وصفاتها يجب فيها الاتباع بلا زيادة ولا نقصان ، ولا يقبل فيها رأي أحد بشبهة قياس او استحسان ، بخلاف العبادات المطلقة من ذكر لله تعالى اوصلاة نافلة غير معينة أو صلاة على النبي ﷺ فكل امرىء مخير في الاكثار منها ما شاء بشرط انتكون الصلاة على الصفة المأثورة وأن لا يلتزم فاعل العبادة المطلقة قيوداً لها من الزمان أو المكان أو الجهر أو الجماعة تخرجها من دائرة اطلاق الشرع لها وتدخلها في اعداد ما سماه الامام الشاطبي بالبدع الاضافية المخرجة لها عن إطلاقها ، ولذلك قال الفقهاء في صلاة ليلة الرغائب من رجب وليلة النصف من شعبان اللتان اعتادهما بعض العباد انهما « بدعتان قبيحتان مذمومتان » كما في المنهاج للنووي وغيره

فالعبادات منها ماهو مقيد بعدد او زمان أو مكان او وصف فالواجب فيه التزام القيد المأثور عن الشارع ، ومنها ماورد مطلقا غير مقيد فيلتزم فيه الاطلاق — والاذان من النوع الاول ، فلا يباح أن يزاد فيه ولا عليه ولا أن ينقص منه

وقد ابتدع فيه الشيعة في مصر وغيرها ما بينه العلامة المقريزي في أوائل الجزء الرابع من خططه المصرية المشهورة بعد بيان أصله ونصوص السنة فيه ، وقفى على ذلك بإبطال السلطان صلاح الدين لما ابتدعه الفاطميون فيه وإعادته

لما كان عليه من مذهب أهل السنة وما حدث بعد ذلك من الابتداع فيه فقال ما نصه :

«وأما مصر فلم يزل الاذان بها على مذهب القوم الى أن استبد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بسلطنة ديار مصر وأزال الدولة الفاطمية في سنة سبع وستين وخمسمائة وكان ينتحل مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وعقيدة الشيخ أبي الحسن الاشعري رحمه الله فأبطل من الاذان قول «حي على خير العمل» وصار يؤذن في سائر إقليم مصر والشام بأذان أهل مكة وفيه تربيع التكبير وترجيع الشهادتين فاستمر الأمر على ذلك إلى أن بنت الأتراك المدارس بديار مصر وانتشر مذهب أبي حنيفة (رض) في مصر فصار يؤذن في بعض المدارس التي للحنفية بأذان أهل الكوفة وتقام الصلاة أيضاً على رأيهم ، وما عدا ذلك فعلى ما قلنا

«إلا أنه في ليلة الجمعة اذا فرغ المؤذنون من التأذين سلموا على رسول الله ﷺ وهو شيء أحدثه محتسب القاهرة صلاح الدين عبد الله بن عبد الله البرلسي بعد سنة ستين وسبعمائة، فاستمر الى أن كان في شعبان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ومتولي الامر بديار مصر الامير منطاش القائم بدولة الملك الصالح المنصور أمير حاج، المعروف بحاجي بن شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون، فسمع بعض الفقراء الخلاطين سلام المؤذنين على رسول الله ﷺ في ليلة جمعة وقد استحسن ذلك طائفة من إخوانه فقال لهم أتحبون أن يكون هذا السلام في كل أذان؟ قالوا نعم فبات تلك الليلة وأصبح متواجدا يزعم أنه رأى رسول الله ﷺ في منامه وانه امره ان يذهب الى المحتسب ويبلغه عنه أن يأمر المؤذنين بالسلام على رسول الله ﷺ في كل أذان، فمضى الى محتسب القاهرة - وهو يومئذ نجم الدين محمد الطنبدي [وكان شيخا جهولا ، وبلهانا مهولا ، سيء السيرة في الحسبة والقضاء ، متهافتا على الدرهم ولو قاده الى البلاء ، لا يحتشم من اخذ البرطيل والرشوة . ولا يراعي في مؤمن الا ولا ذمة . قد ضري على الآثام ، وتجسد من اكل الحرام . يرى ان العلم ارخاء العذبة ولبس الجبة . ويحسب ان رضا الله سبحانه في ضرب العباد بالدرة وولاية الحسبة . لم تحمد الناس قط اياديه ، ولا شكرت ابدا مساعيه ، بل جهالاته ، شائعة ، وقبائح افعاله ذائعة . أشخص غير مرة الى مجلس المظالم ، واوقف مع من اوقف للمحاكمة بين يدي السلطان من اجل

عيوب فوادح . حقق فيها شكاته عليه القوادح . وما زال في السيرة مذموما، ومن العامة والخاصة ملوما] وقال له رسول الله يأمرك ان تتقدم لسائر المؤذنين بأن يزيدوا في كل أذان قولهم «الصلاة والسلام عليك يارسول الله» كما يفعل في ليالي الجمع، فأعجب الجاهل هذا القول، وجهل أن رسول الله ﷺ لا يأمر بعد وفاته ، إلا بما يوافق ما شرعه الله على لسانه في حياته، وقد نهى الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عن الزيادة فيما شرعه حيث يقول (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) وقال رسول الله ﷺ « اياكم ومحدثات الامور » فامر بذلك في شعبان من السنة المذكورة ، وتمت هذه البدعة، واستمرت الى يومنا هذا في جميع ديار مصر وبلاد الشام ، وصارت العامة واهل الجهالة ترى ان ذلك من جملة الأذان الذي لايحل تركه ، وأدى ذلك الى ان زاد بعض أهل الإلحاد في الاذان ببعض القرى السلام بعد الاذان على شخص من المعتقدين الذين ماتوا ، فلا حول ولا قوة الا بالله وإنا لله وإنا اليه راجعون » اه ماقاله المقريزي بنصه :

هذا أصل هذه البدعة وسببها، وهو افتراء بعض الدجالين الخرافيين من أهل الطريق على رسول الله ﷺ رؤيا أمر بها ذلك المحتسب الظالم الفاجر بتعميمها. وحسبك ما كتبه العلامة المقريزي في انكارها وتسفيه مبتدعها ، ولعله يعني بما زاده عليها بعض أهل الالحاد في بعض قرى مصر من السلام على بعض المعتقدين الذين ماتوا سلامهم على السيد احمد البدوي . وقد انتقل هذا من بعض القرى الى الامصار حتى القاهرة نفسها ، وزيد على السلام عليه نداء السيد ودعاؤه متصلا بالاذان أيضا . فقد سمعت مؤذن الفجر في أول دار سكنتها بمصر يصيح بعد الاذان : ياشيخ العرب ! مع كلمات لم اتبينها . وما كنت اعلم ان هذا لقب البدوي.

إن شر مفاسد البدعة أنها بطول الزمان تعطى حكم السنة المشروعة ، فيعد فاعلها متبعا ، ومنكرها مبتدعا ، ويخترع أدعياء العلم العلل والشبهات لشرعيتها . والقاعدة العامة عندهم لاثبات كل بدعة قولهم « بدعة حسنة » وهو مصادم لنص الحديث الصحيح الذي كان النبي ﷺ يقوله على المنبر « وشر الامور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » رواه مسلم، وهو مجمع على معناه في البدع

الدينية ، وانما قال من قال من العلماء ان البدعة تنقسم الى حسنة وسيئة في البدعة اللغوية وهي ما يخترعه الناس ويضعونه من العلوم والفنون والصناعات والاعمال ، والاذان من العبادات التي يلتزم فيها الاتباع باجماع السلف والأئمة المجتهدين

وقد عرف العلامة الشاطبي البدعة الدينية في كتابه الاعتصام بانها « طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه » ثم نقل عن الامام مالك رحمه الله تعالى انه قال : من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة لان الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا اه

وقد احتج نصير البدع الشيخ يوسف الدجوي على شرعيتها في مجلة مشيخة الازهر بما جاء في بعض الاحاديث الواردة في جواب المؤذن وهو « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ » الحديث هكذا ذكر منه ماوافقه وعزاه الى صحيح مسلم – ونزيد عليه أنه رواه احمد وأصحاب السنن أيضا إلا ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو – (ثم قال) وان المؤذن ممن سمع الاذان وكل من سمع الاذان طلب منه الصلاة على النبي ﷺ وأقول ان هذا قد ذكره الفقهاء المتأخرون وزاد بعضهم عليهم انه مخير في هذه الصلاة من وصلها بالأذان مع رفع الصوت وعدمه ، وهذه الشبهة مردودة من وجوه

(أولها) ان من المعلوم بالاختبار ان المؤذنين يقلد بعضهم بعضا في هذه الزيادة ولا يقصدون بها اتباع هذا الحديث ولا غيره مما ورد في اجابة المؤذن ويقل فيهم من يعرفها . وتتمة هـذا الحديث « ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو ان أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة » والمؤذنون لا يسألون له الوسيلة ، ولم يذكر الشيخ الدجوي هذه التتمة لانها تدحض شبهته

(ثانيها) ان المؤذن لو كان يأتي بهذه الصلاة لاجابة نفسه عملا بالسنة لأتى بكل ماورد في السنة من الادعية في هذه الاجابة وأشهرها في هذه الاجابة الدعاء المفسر لطلب الوسيلة في الحديث الذي احتج به وهو كما في حديث آخر أصح منه

« من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة » رواه احمد والبخاري وأصحاب السنن من حديث جابر بن عبد الله

(ثالثها) أن وصلها بالاذان مع رفع الصوت يوهم من لا يعرف السنة فيه أنها منه ، او أنها مشروعة . وقد قال المقريزي ان العامة وأهل الجهالة يرون أن هذه الزيادة من جملة الاذان الذي لا يحل تركه ، وأكثر الناس في هذا العصر يجهلون السنة فلذلك ينكرون على من أذن الاذان الشرعي مقتصرا عليه ولم يزد عليه هذه الصلوات والتسليمات ، ويطعنون فيه وفيمن ينكر هذه الزيادة أو العلاوة بأنه عدو للرسول ﷺ فانقلب الشرع ، وانعكس الوضع ، وصار الذي يتبع الرسول ﷺ ويؤذن كما كان يؤذن المؤذنون له ولخلفائه الراشدين يعدعدواً له ، والمبتدع في ملته ، المخالف لسنته ، المتبع لذلك الفقير الخلاط المفتري على النبي ﷺ والبرلسي المحتسب الفاسق هو التقي المتبع له (ص) وهذا شر غوائل هذه البدع

(رابعها) أن الذي فهمه الصحابة ومنهم مؤذنو المصطفى ﷺ ان اجابة المؤذن بقولهم مثل مايقول إلا الحيعلتين فيقول عندهما « لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » والصلاة عليه ﷺ وسؤال الوسيلة له وسائر الادعية هي من الاذكار التي يقولها كل سامع له منفردا بخفض الصوت فلم يرو أحد من المحدثين عن مؤذنيه (ص) ولا مؤذني خلفائه الراشدين ولا مؤذني خير القرون ولا عن غيرهم من الصحابة والتابعين انه رفع صوته بذلك كالاذان فضلا عن وصل المؤذنين له بالاذان ولامادون الاذان مما ورد فيه رفع الصوت كاقامة الصلاة وهي الاذان الثاني فعلينا اتباعهم ، ورفع الصوت فيه خلاف الاصل فلا يتوقف انكاره على نهي الشارع عنه ، ولو كان مشروعا لجاز لاهل المسجد عند الاذان والاقامة ان يرفعوا اصواتهم باجابتها بمثل صوت المؤذن ، ومن ذا الذي لا يقول ان هذا عمل منكر ؟ ومن ذا الذي ينكر على المؤذن أن يأتي بالاذكار المأثورة في اجابته وهو منصرف من الاذان بصوت خاشع كما يجيبه سائر من سمعه ؟

(خامسها) أننا قد بينا أن ما أطلقه الشرع من العبادات فليس لنا أن نقيده

بصفة نلتزمها فيها لم ترد في الشرع كالأذكار المأثورة بعد الصلاة وذلك مفصل في كتاب الاعتصام للعلامة الشاطبي فقد عد من البدع الاضافية اجتماع المصلين ورفع أصواتهم بالتسبيح والتحميد والتكبير ٣٣ مرة وغير ذلك والتزامهم إياه في المسجد، لانه يوهم انه مشروع بهذه الصفة، ووصل اذكار اجابة المؤذن بالاذان برفع الصوت على المنار أولى بذلك . وانني أؤذن لصلاة الفجر في روشن الدار كل يوم تقريبا ثم أصلي على النبي ﷺ وأنا منصرف من الأذان وأسأل له ﷺ الوسيلة باللفظ المروي عنه في الصحاح والسنن وغير ذلك مما ورد

(سادسها) لو كان المؤذن يقصد بالصلاة عليه ﷺ بعد الأذان ماورد عنه في جواب النداء لماتركه في صلاة المغرب، بل لأتى به بعدها وزاد عليه الدعاء المأثور بعده وهو « اللهم هذا إدبار ليلك ، واقبال نهارك ، وأصوات دعائك ، فاغفرلي » رواه ابو داود والترمذي من حديث أم سلمة (رض) ولما زاد عليه بعضهم بعد أذان الفجر نداء شيخ العرب البدوي ، فبذلك دحضت شبهات مجلة الازهر كلها ، وثبت أن مايزيده المؤذنون ليس إلا بدعة يجب انكارها ،

(سابعها) من مفاسد هذه البدعة أنه لما كان الوهابية يتبعون السنة في آذانهم ويمنعون الزيادة فيه أوعليه وهي مبتدعة في زعم الدجوي رماهم المبتدعون بأنهم لا يصلون على النبي ﷺ مطلقا حتى ان المرحوم التقي النقي محمد أمين بك الرافعي لما حضر مجلس الملك عبد العزيز الفيصل بن السعود بمكة المكرمة وسمعه يصلي على النبي ﷺ كلما ذكره وإن تكرر ذكره في المجلس مراراً كثيرة متوالية استغرب ذلك وكتبه في جريدته (الاخبار) وقال انه ما رأى أحداً مثله في ذلك اي لا في مصر ولا في غيرها

وأغرب من هذا ان بعض حجاج بلدنا قال لي بمكة المكرمة ان الناس قالوا لنا ان الوهابية منعوا من الاذان الشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة وقد سمعت جميع المؤذنين ينطقون بها . فقلت له هذا من افتراء الناس عليهم وذكرت له سببه وقال بعض الناس مثل هـذا مرة لوكيل إدارة المنار فدله الوكيل على دار

الوكالة العربية للحكومة السعودية وقال له اذهب اليها في هـذا اليوم وكان يوم الجمعة تر فوقها علماً أخضر فاقرأ ما فيه لتعلم كذب هذا القول بالمشاهدة — فان فيه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وهذا شعار الوهابية، فبهت الرجل

ردعلينا الاستاذ الدجوي من وجوه غير ماتقدم نوجز الـكلام في الجواب عنها فنقول:

(١) زعمه انه خفي علينا الفرق بين الزيادة في الشيء والزيادة على الشيء وهذا من الثاني — ونقول لا فرق بينهما في المعنى المقصود فهي على كل حال زيادة متصلة بعبادة من شعائر الاسلام لم يأذن بها الله ، وقدسماها المقريزي قبلنا زيادة في الاذان

(٢) قوله انه ليس أول من قال انها بدعة مستحسنة بل علماء المذاهب الاربعة مصرحون بذلك وجوابه ـ إن صح النقل ـ ان هؤلاء العلماء المتأخرين ليسوا من الائمة المجتهدين بالاتفاق بيننا وبينه فقولهم كقوله لايعتد به إذ لا دليل لهم عليه ، ولا يجوز تقليدهم فيه باتفاق من يقول بجواز التقليد أو وجوبه على العاجز عن الاستدلال لانهم انما يقولون بتقليد المجتهد وهؤلاء لا يدعون الاجتهاد ، بل يعيبون علينا الاستدلال بالكتاب والسنة لانهم يعدونه من الاجتهاد المتعذر ويتهكمون بنا ثم يفعلون مثل فعلنا ولكنهم يستدلون بأقوال أمثالهم ،

(٣) قوله انه «ليس كل مالم يفعل في عهده ﷺ يكون بدعة سيئة ومن فهم ان ذلك داخل في الحديث «وكل بدعة ضلالة» فهو من أقل الناس علما ، وأضيقهم عقلا» ونقول ان كل مالم يفعل في عصره ﷺ من العبادات ولا سيما شعائر الاسلام فهو البدعة السيئة بخلاف أعمال الخير غير التعبدية كتأليف الكتب العلمية النافعة وبناء القناطر والمستشفيات مثلا ، وقد صرح بهذه التفرقة كبار العلماء، ومن لم يفهم هذا فلا فهم له ولا علم ولا عقل

(٤) قوله ان هذه البدعة تدخل في عموم حديث « من سن سنة حسنة » الخ ونقول ان هذا خطأ ظاهر فعلماء المسلمين سلفهم وأئمة الخلف منهم مجمعون على انه ليس لأحد أن يسن في العبادات المشروعة سنة جديدة كما بيناه آنفا . ومقلدة الخلف يقولون هذا أيضا ولـكن منهم من يخالفه كما فعل هو ومن يحتج بقولهم ، وهو ليس بحجة باجماع علماء الاصول

(٥) قوله « ليس هناك من مجمل الزيادة من الاذان بدليل انها تترك في أذان المغرب وبدليل انهم يطيلون تارة ويقصرون ، وبدليل ماذكره هو(يعنينا) انهم قد ينادون شيخ العرب (السيد البدوي)فهل يفهم ان ذلك كله من الاذان ؟ »

وجوابه ان الجاهلين يفهمون انه من الاذان كما قال المقريزي، ومن لم يفهم انه منه يعتقد انه مشروع في الاسلام ،ولذلك ينكرون على من يتركه كما تقدم . وانما هذا حجة عليه مبطل لزعمه أنهم يقصدون به اتباع السنة في جواب المؤذن وتقدم تفصيله، على ان الكلام في هذا الفعل المبتدع لا في تسميته ، فسواء عليهم اجعلوه أو سموه من الاذان كما يفهم جماهير العوام أم جعلوه من اجابة المؤذن لنفسه كما زعم هو (الدجوي) حتى قال انهم اقتتلوا في بعض القرى أو كادوا يقتتلون في اختلافهم فيه هو على كل حال ابتداع في الدين وشرع لم يأذن به الله ، فجميع هذه الاجوبة حجة على قائلها لا له،واذا امكن المراء في بعضها فلا يمكن في جملتها .

وخلاصة القول أن هذه الزيادة في الاذان أو عليه أو العلاوة له بدعة أحدثها بعض الفساق في آخر القرن الثامن وزيد عليها فيما بعده ما لا شبهة في بطلانه فيجب انكارها والسعي لمنعها ، وعدم اطالة الجدل لاثبات استحسانها .

وهذا هو الذي يصح ان يدخل فيما أمر الكتاب العزيز به من رد التنازع إلى الله والرسول . وهو الذي يمكن أن تجتمع كلمة الامة عليه إذا دعاها اليه علماؤها بناء على أنه هو الذي كان في عهد الرسول ﷺ وخلفائه (رض) ومن يقول إنها بدعة غير سيئة أو حسنة لايقول أنها خير مما كان عليه المسلمون في ذلك العهد . وهذا معلوم بالضرورة لايخالف فيه احد

وان من شر مفاسد هذه البدع في الدين أن يتعصب لها أهلها مع تهاونهم في السنن وفي الفرائض أيضا، وأعجب من ذلك اقرار ادعياء العلم للمبتدعين على بدعهم، وأعجب من هذا الاعجب تأولها لهم ، والرد على منكريها عليهم (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

جمال الاسلام المهجور أو المجهول

(مسامرة فيه)

(ذكرني اهتمام الصحف بعزم جلالة الملك المعظم على زيارة كليات الازهر في هذا الشهر وانتقادها لادارة المشيخة الحاضرة لهذه الجامعة وسيرة رئيسها فيها بمسامرة في هذا الموضوع قامت بها الحجة على هذا الرئيس بأن تعليم التوحيد وغيره في الازهر والمعاهد التابعة له غير مفيد للخواص ولا للعوام . ، فرأيت ان أنشرها كما وقعت وماهي ذه)

أدب الدكتور عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين مأدبة نفيسة لصاحبي السمو شقيق سلطان لحج ونجله اذ كانا من ضيوف مصر في العام الماضي، دعا اليها جماعة من كبار أهل العلم الديني والدنيوي والمكانة ، في مقدمتهم أصحاب الفضيلة والسعادة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر والشيخ محمد صادق المجددي وزير دولة الافغان المفوض بمصر والشيخ محمد الخضر وعثمان مرتضى باشا وأحمد زكي باشا والدكتور عبدالرحمن شهبندر — وكذا كاتب هذه المسامرة صاحب المنار

ولما كنا على المائدة اعتذر شيخ الازهر بالحمية عن مشاركة الجماعة بالطعام المغذي ، ولكنه أحب أن يجمع لهم بينه وبين الغذاء العقلي ، فطفق يشكو من إعراض المسلمين عن هداية الاسلام افتتانا بالدنيا وتقاليد الحضارة الافرنجية ، فقال عثمان باشا : إن حب الجمال طبيعي في البشر ، وان الاسلام كله جمال، وان تهذيب الحضارة والعلوم الراقية تزيد العاقل حبا للجمال فهي تقوي الاسلام بما تظهره من جماله المحبوب بالطبع — أو ماهذا خلاصته

قال الشيخ : ولكننا نرى الجمال في عرف أكثر أهل عصرنا هو مايسمونه (الموضة) في الازياء والعادات واللهو وسائر نواحي الحياة ، أي وان كان من الفسق والفجور الذي لايخفى قبحه على عاقل ، وتساءل كيف السبيل الى تلافيه ؟ هذه صفوة عبارته

ثم دار الـكلام في جمال الاسلام وكماله وما امتاز به على سائر الأديان وما اعترف له به بعض حكماء الافرنج ومؤرخيهم المنصفين ، ولا سيما أساسه الاعظم وهو توحيد الله تعالى وكون المرشد الاعظم للناس من لدنه عز وجل هو عبدالله ورسوله لا مخلوق مشارك له (أو وكيل ينوب عنه) سبحانه في تدبير أمور الخلق في الدنيا ، وينجيهم في الآخرة بنفوذه وجاهه — كديانة النصارى

وذكر الدكتور شهبندر ان بعض علماء أوربة قد صرحوا بأن بساطة العقيدة الاسلامية وموافقتها للعقل والفطرة وسهولة فهمها وتعقلها هو السبب في انتشار الاسلام في جميع طبقات البشر بالسرعة المعروفة في التاريخ وانهزام النصرانية أمامه في الشرق كله ، وفي كثير من بلاد الغرب؛ وان بعضهم قال : إن محمداً ﷺ لما رأى خذلان النصارى باتخاذ نبيهم إلها وربما لهم لم يكتف بتلقين أتباعه أنه نبي ورسول ، بل أمرهم بأن يقولوا : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ،

حتى اذا فرغ الجمع من الطعام ، وأخذوا مقاعدهم من حجرة القهوة والـكلام ، تصدى كاتب هذا المقال للموضوع فقال

إن ما قاله الاستاذ شيخ الازهر من اعراض المسلمين في هذه البلاد وأمثالها عن هداية الاسلام وعن تشريعه أيضا — ولا سيما الذين يتلقون التعليم العصري — حق مشاهد لاريب فيه ، وان ما قاله الاستاذان مرتضى باشا وشهبندر حق لاريب فيه أيضا ، وما كان حديث المائدة ليتسع لبسط القول الفصل الجامع بين القولين ،

نعم إن كل ما قيل على المائدة صحيح وإن كان فيه ما يوهم التعارض ، ولا ينبغي لنا أن نترك هذا الموضوع المهم بدون تمحيص وتحقيق ، فأرجو السماح لي بذلك :

إن الاسلام ظهر على لسان نبي أمي بعث في قوم أميين حملوه إلى أمم كثيرة من أهل الحضارات والعلوم والفنون السابقة فقبلوه كما قبلته قبائل البداوة ، وآثروه على أديانهم وشرائعهم ولغاتهم ، لما تجلى لهم في كتابه وسنة نبيه وسيرة دعاته من الجمال المعنوي في عقائده المعقولة ، وشريعته العادلة ، وآدابه العالية ، الموافقات للفطرة الانسانية ، والجمع بين مصالح الدين والدنيا

فما السبب الذي صرف الكثيرين من المسلمين أنفسهم بعد ذلك عن هدايته

وعن تشريعه وعن آدابه وفضائله على جمالها وكمالها ، وزين لبعضهم استبدال غيرها بها ، وكيف السبيل الى عطفهم عليها ؟ وجذب غيرهم إليها ؟ هذا ما تساءل عنه مولانا الاستاذ شيخ الازهر ، ويمكنني تقرير الجواب عنه على قاعدة الاستاذ عثمان مرتضى باشا في جماله ، وقاعدة الدكتور شهبندر في سهولته وموافقته للفطرة

إن جمال الاسلام ظهر للعالم كله في القرون الاولى بعلم دعاته وناشريه وبيانهم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبحكم خلفائه وامرائه بين الناس بعدل شريعته ومساواتها بينهم بالحق ، ثم صار هذا الجمال يخفى ويتوارى رويداً رويداً بهجر العلماء لتعاليم القرآن وبيان السنة له ، واعتمادهم على تقليد العلماء المصنفين ولا سيما المتكلمين ، وبظلم الملوك والامراء ، وتعاون الفريقين على ظلم الناس والاستبداد فيهم ، وطغيان الرياسة عليهم ، ونكتفي بضرب المثل في العلماء

ضرب الامام الغزالي مثلا لما وضعه علماء التقليد من الحجب بين الناس وبين جمال الاسلام ونوره ـ وهي طبقات العلماء الخمس التي يذكرونها في رسم المفتي ـ فشبه نور الشريعة من كلام الله وسنة رسول الله ﷺ بالشمس أشرقت بها الآفاق، ودخل نورها من كوة في حجرة فوقعت على مرآة في الجدار المقابل لها ، فانعكس النور عنها الى الجدار الذي تجاهها ، وانعكس نور هذا الجدار الى جدار يقابله في حجرة أخرى مظلمة فكان أضعف مما قبله ، وتكرر الانعكاس حتى اذا كان الاخير منه على جدار الحجرة الخامسة كان أهلها في ظلمة لا يدركون فيها إلا أشباحا وشخوصا لا يدركون صفاتها ولا معارفها التي تتميز بها

فهذا مثل من يزعم أن نور الله المشرق من سماء كتابه وسنة رسوله لا يدركه كما هو الا المجتهد المطلق، وان من دونه المجتهد المنتسب يدرك شيئا كثيراً من مرآته لا يستقل باقتباسه من شمسه نفسها ، ومن دونه مجتهد المذهب ، وتحته المقلد الذي يميز بين صحيح الروايات وسقيمها في المذهب ، ووراءه الذي يقدر على ترجيح بعض الروايات والاقوال على بعض . وأما سائر الناس فهم أسرى وعيال على هذه الطبقة السفلى، فالواجب عليهم تقليدها في نقلها ، لا في فهمها ورأيها ، ويقول بعض محققي المتأخرين من فقهاء الحنفية المؤلفين : وهذه طبقة أمثالنا

فأنى لمن أقام من وراء هذه الحجب كلها أن يدرك نور الاسلام فيرى فيه جماله وكماله وجمال كل شيء به؟ وإذا كان لفقهاء الفتوى في النوازل العملية وقضايا المحاكم عذر في مراعاة هذه الرسوم لعجزهم عن الدليل، فهل لاحد عذر أن يضربها أمام عقائد الدين وقد قال السنوسي وغيره ان التقليد فيها غير جائز، أو يضربها امام فضائله وآدابه واحكامه القطعية التي لامجال للاجتهاد فيها ؟

لقد كان علو الاسلام على جميع الاديان ،قائما على قاعدة الاستقلال في فهم حقيته وإدراك جماله وما ضعف إلا بترك هذه القاعدة . ولكن تعليم المدارس المصرية قائم على هذه القاعدة ، ولا يمكن تثبيت المسلمين على دينهم في هذا العصر إلا بجعل تعليمه قائما عليها أيضا ، لان من يتعلم كل علم مستقلا في فهمه يأبى أن يقلد في دينه من يعترفون أن بينهم وبين كتاب الله وسنة رسوله أربعة حجب وهم الحجاب الخامس دونه

ذكر لنا الدكتور شهبندر عن بعض حكماء الافرنج اعترافهم بامتياز عقيدة التوحيد الاسلامية ،على عقيدة التثليث النصرانية، وان التوحيد يمكن أن يفهمه ويقبله كل أحد من عوام الناس وخواصهم وبدوهم وحضرهم بخلاف التثليث ، أليس من البلاء أن يكون فساد التعليم الاسلامي قد أفضى بالمسلمين الى خفاء عقيدة التوحيد بالاعراض في بيانها عن آيات القرآن النيرة الواضحة، الى اصطلاحات علماء الكلام المعقدة ؟

مثال ذلك ما يلقنونه لطلبة العلوم الدينية في الازهر وغيره من المدارس الدينية المقلدة له في أول كتاب يقرءونه لهم في العقائد وهو حواشي السنوسية الصغرى (أم البراهين) وهو ان التوحيد الذي هو أس الاسلام عبارة عن نفي الكموم الخمسة: الكم المتصل والكم المنفصل في ذات واجب الوجود عز وجل، والكم المتصل والكم المنفصل في صفاته تعالى ، والكم المنفصل في أفعاله إذ ليس فيها كم متصل كما قالوا .

ان هذه الكموم الخمسة فلسفة كلامية ما أنزل الله بها في كتابه من سلطان ، ولا وردت في شيء من بيان رسوله ﷺ للكتاب ، ولا في آثار أصحابه ونقلة سنته، ولا في كتب أئمة السلف الصالح ومنهم الفقهاء الاربعة، وانها لتكاد تضاهي الاقانيم الثلاثة في الخفاء ،وان من يفهم معناها الذي فسروها به لايفهم منها حقيقة التوحيد

الذي حكاه الله تعالى عن خاتم النبيين وعمن قبله من اخوانه المرسلين ، ولا ما فهمه مشركو العرب من كلمة (لا إله إلا الله) وإنني لما لقنتها في المدرسة في طرابلس الشام حاولت أن أفهمها للعوام فعجزت بل كدت أفسد عليهم عقيدتهم، حتى قال لي بعضهم إنه لم يستطع أن ينام الليل الذي سمع في أوله الدرس، وخاف أن يموت وهو لا يفهم معنى التوحيد

عند ماقلت هذا وضع كفه الاستاذ الاكبر شيخ الازهر على يدي وكان جالسا بجانبي وقال : ان هذه الاصطلاحات الكلامية وكتبها قد وضعت لامثالكم من الخواص لا للعوام

فقلت اسمعوا أيها السادة ما يقول مولانا الاستاذ : يقول ان هذه الكتب الكلامية وضعت للخواص لا للعوام فأين الكتب التي وضعت للعوام وهم اكثر الناس؟.

ان علم الكلام علم مبتدع أنكره عند ظهوره أئمة الاسلام حتى ان الامام الشافعي رحمه الله تعالى هجر حفصا الفرد لانه ألف كتابا فيه ، وقد بين الامام أبو حامد الغزالي ما استقر عليه رأي العلماء فيه فقال ما خلاصته: إنه ليس من علوم الدين وانما احتيج اليه لاجل حماية العقيدة من شبهات الفلاسفة والمبتدعة، فهو كالبذرقة للحاج يعني الحرس ، فاتخاذ البذرقة ليس من أركان الحج ولا واجباته ولا سننه، ولا من شروط الاحرام ، وانما احتيج اليها لوجود اللصوص وقطاع الطريق الذين يعتدون على أموال الحاج وأنفسهم

فاذا كان الامر كذلك فعلم الكلام تختلف الحاجة اليه باختلاف شبهات الخصوم، وقد تجدد في عصرنا هذا شبهات على الدين غير شبهات الفلسفة اليونانية التي ألف علماء الكلام الاولون الكتب لدحضها فيجب على خواص العلماء الذين يتصدون لدفع شبهات هذا العصر أن يعرفوا العلوم التي نجمت منها ، ويردوها بالادلة العلمية الراجحة عند أهلها ، لا ان يتعبوا أنفسهم ويضيعوا أزمنتهم في دراسة الفلسفة القديمة في كتب فنية دقيقة كشرح المواقف وشرح العقائد النسفية وحواشيها ، وقد كفتهم العلوم والفلسفة الجديدة مؤنة التعب فيها بما يشبه التعبد بها ، ثم إننا نرى حزا أوليها لا يستفيدون منها العلم بحقيقة التوحيد ولا حقيقة الشرك، ولا يعنون بالنهي

عما ابتدع الجاهلون من الشرك ، بل منهم من يتأول لاهله خرافاتهم الشركية

إننا نرى هذه الخرافات الشركية الوثنية فاشية في الناس لان أكثرهم لا يتلقون عقائد الدين إلا من أمهاتهم وآبائهم ومعاشريهم ، حتى لا يكاد يوجد في الالوف الكثيرة منهم أحد من ذكر أو انثى تلقى عقيدته من كتاب الله وكتب السنة الصحيحة ، أو من تآليف العلماء على ماذكرنا من تعقيدها ، فتراهم رجالا ونساء وأطفالا يشدون رحالهم الى قبور اشتهرت باسماء بعض الصالحين المعروفين أو المجهولين يحملون اليها القرابين والنذور للتقرب اليها ، ويتضرعون بالدعاء لمن دفن فيها بطلب الشفاء لمرضاهم والانتقام من أعدائهم وغير ذلك من مآربهم . وكل ذلك من العبادات وهم في حلهم وترحالهم اليها يتركون الصلوات ، ويرتكبون كثيرا من المنكرات

ونرى بعض المتعلمين الذين حضروا دروس السنوسية والجوهرة يتأولون لهم دعاءهم واستغاثتهم لغير الله وطوافهم بالقبور ونذورهم وقرابينهم لها ، بانهم يعتقدون انهم يقضون حوائجهم بما خصهم الله به من الكرامات ، وان قضاءها من أعمالهم الكسبية فهم كاسبون لها لا خالقون ، وأنهم هم مستشفعون بهم لا عابدون لهم ، فأقوالهم محمولة على المجاز العقلي بقرينة اسلامهم ، وقصارى أعمالهم المخالفة للشرع ان تكون من الشرك العملي لا الاعتقادي فهم بهذا التأويل الباطل للجاهلين يصدون المتعلمين عن الاسلام ، وهو ما يشكو منه الاستاذ ، والقرآن يدحض هذه التأويلات بآياته القطعية المعروفة التي تثبت انهم يعبدون غير الله بشرع لم يأذن به الله

وأنى لمن غاية علمه بالتوحيد فلسفة نفي الكموم الخمسة ان يعرف توحيد القرآن وشرك العبادة الذي انكره على المشركين من التقرب اليه بوسائل لم يشرعها لهم بل أنكرها عليهم ؟ الخ

إننا محتاجون في هذا العصر الى نوعين من الكتب لطريقتين من طرائق التعليم لاظهار حقيقة الاسلام ، وما فيه من جمال وكمال ، وإصلاح لحال من يهتدي به من الناس

النوع الاول كتب في عقائد الاسلام وآدابه وعباداته تكون في غاية السهولة والبساطة لاجل تعليم التلاميذ والعوام من الرجال والنساء ، ولاجل المطالعة أيضا ويجب ان تكون هذه الكتب مقتبسة من نور القرآن ومستمدة من آياته البينات

التي تفيض النور على العقول ، وتنفخ من روح الله في القلوب ، ويجب ان يطبع منها مئات الالوف وألوف الالوف من النسخ لاجل تعميم نشرها

والنوع الثاني كتب في بيان أصول الاسلام في الاعتقاد والتهذيب والتشريع مقرونة بأدلتها وحكمها ووجه حاجة جميع البشر اليها في إصلاح جميع شؤونهم الشخصية والاجتماعية، ورد جميع مايرد عليها من الشبهات في هذا العصر ، الخ

ومن الضروري ان يكون التعليم في المعاهد الدينية موجها الى تخريج طائفة من العلماء لبث الدين على الطريقة الاولى في المدارس والمساجد والبيوت لاجل تعميمه في العالم كله ، وتخريج طائفة أخرى لاجل الدعوة اليه والدفاع عنه، وان يربى كل منهما تربية روحية عقلية تكون بها الغاية التي تناط بأفراده وجدانا نفسيا لهم لاهم لهم من حياتهم فيما دونها، لا وسيلة من وسائل الكسب والمعيشة

ومن المعلوم عندنا بالاختبار ان هذا المنحى من مناحي التربية الدينية والتعليم الاسلامي مفقود لاوجود له في المعاهد الدينية، لافي الازهر الذي هو أكبرها وأغناها ولا في غيره، وان هذه الكتب بنوعيها لا وجود لها فيه ، اللهم إلا رسالة التوحيد للاستاذ الامام رحمه الله تعالى

قررت ما ذكر كله في السامر بنحو مما بسطته هنا فأقرني عليه جميع السامرين حتى ان شيخ الازهر والشيخ الخضر من أكبر أعوانه ورئيس تحرير مجلة المشيخة لم يعارضاني في كلمة منه غير ماتقدم عن الشيخ الاكبر، وقد علم منه الجواب الصحيح عما أورده الشيخ على المائدة مما ظهر به أنه هو الملوم المسئول فيما تساءل عنه ، والمشكو منه فيما يشكو منه .

وإذا كان السكوت إقرارا ، وكان تأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز ، فقد قامت به الحجة على الشيخ الظواهري بخلو الازهر في عهده من التعليم الذي يظهر نور لاسلام وجماله لعامة الناس وخاصتهم ، وظهر به ان أكبر الاثم فيما شكا منه من اعراض الناس عن الاسلام واقع عليه ، ففي يده تلافيه ، ولكنه هو الذي يصدعنه، وقد أخرج من الازهر أمثل المعلمين المشتغلين به، ومجلة المشيخة الخرافية اظهر الحجج عليه . فياليت جلالة الملك يعلم هذا كله ، كما علم من سوء ادارة الازهر ما دونه ؟ وكتب هذا في غرة ذي الحجة سنة ١٣٥١

الى شبان المسلمين

(قصيدة للاستاذ محمد الهراوي)

ألقاها في حفلة لجمعية الشبان المسلمين في دار الاوبرا الملكية بمصر

الشرق والغرب

قل للشباب المسلمين تحية من مسلم ثبت على إيمانه
ويزيده في الله حسن عقيدة ماجره الالحاد من خسرانه
الغرب مجلبة الخسار جميعه والشرق مفتتن به عن شانه
متودد والغرب لم يأبه له لا في مودته ولا شنآنه
ماذا من الغربي في احسانه؟ والشر غلاب على احسانه؛
مازال يرمي الشرق من نيرانه حتى تردى في لظى نيرانه ؛
في كل يوم معقد للجانه والمشكلات تنز تحت لجانه
لو أخلص الغربي في نياته ماثارت النيران من بركانه
ماباله ، والعدل من ألحانه تبكي العدالة في صدى ألحانه؟

الطابع القومي

لو يحفظ الشرقي طابع قومه لم يطوه الغربي في سلطانه
أو كان يزهد في الحياة لعزه ماهان بعد العز في أوطانه
أو كان متبعاً لآي كتابه لمضى وهذا الدهر طوع بنانه
لكن سبته حضارة غربية ألقى الى مضمارها بعنانه !

الذكرى

أين الغزاة الفاتحون؟ وأين ما فتحت سيوف الله من بلدانه؟
أين السراة الخيرون؟ وأين ما شادوا لدين الله من بنيانه؟
أين البيوت العامرات بأهلها سل كل بيت دال من سكانه

الازهر

والازهر المعمور أين مكانه ؟ سل عنه أين ؟ وأنت فوق مكانه
فرحوا وهم يبنون كلياته فليفرحوا بالطوب تحت دهانه
من يوم ان نقلوه من جدرانه قد طار سر الله عن جدرانه
فاسأل عن الاخيار من علمائه واسأل عن الاطهار من شبانه
المتقين الله حق تقاته ؟ الحافظين لدينهم وكيانه
العالمين بشرعه وكتابه العاملين بروحه وبيانه
والزي ؛ حتى الزي لم يبقوا له ظلا لجبته ولا قفطانه(١)

الى الملك

مولاي يامالك البلاد وذخرها وملاذ هذا الدين عند هوانه
مصر بازهرها القديم كما بدا بالطابع الموروث منذ زمانه
فأعد اليه عهده واسبقه تدفع به الالحاد في عدوانه

الجامعة الشرقية

أدعو شباب الشرق من أجناسه وعلى اختلاف الشرق في أديانه
أدعو لجامعة تضم شتاته من صينه الاقصى الى تطوانه
إن لم يكن في الدين جامعة له كبرى ففي آلامه ولسانه

الدين

ما بالنا والغرب غرب دائم في ظله نمضي وتحت ضمانه
خذوا سبيل الدين فهو كفيلكم لبرد سيل الغرب عن طغيانه
والدين للدنيا وللاخرى معا وسعادة الدارين في قرآنه

(١) يشير الشاعر الى ما اشتهر في مصر من لبس بعض المتخرجين في الازهر للزي الافرنجي ومن كون بعض طلابه يلبسون في الدروس الجبة والقفطان وفي الليل زي الافندية كما كان يفعل طلبة دار العلوم قبل اجماعهم على نزع الجبة والقباء والعمامة ، ولكنه عبر عنه بكلمة عامة مبالغة في التشاؤم

وفيات الأعيان

العلامة المصلح الشيخ محمد أمين الشنقيطي (*)

في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال « إن الله لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » او كما قال (١)

وعن ابن مسعود « كل يوم ترذلون لا أقول عام أخصب من عام ولا أمير خير من أمير ولكن بذهاب علمائكم فيضعف الاسلام » أو كما قال (٢)

أنعي إلى الامة الاسلامية أحد أركان العلم والاسلام وأنا في غاية الحزن والاسى ألا وهو العلامة المتبحر في العلوم المجاهد العامل صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد بن أمين الشنقيطي المغربي القاطن ببلد الزبير من أعمال البصرة

مولده ومنشؤه في قبيلته « اذ بلحسن » أي بني الحسن قبيلة عظيمة من قبائل العرب من أهل شنقيط معروفون بالعلم والشجاعة، وقد نبغ منهم خلق من العلماء والشعراء، رحل الفقيد الى الشرق وهو شاب بعدما درس العلوم التي تدرس ببلاده ولما وصل الى مكة وجد بها العلامة الكبير الحافظ الشيخ شعيب الدكالي بارك الله في حياته فألقى بها عصا التسيار، ولازم العلامة المذكور سنين، وكان استاذه هذا معجبا به حتى إنه كان يرد اليه المسائل الادبية فيتكلم فيها أثناء الدرس، ثم زار الشيخ شعيبا أحد أعيان أهل البصرة ممن كانوا يلقبون بكلمة

(*) كتب هذا التأبين والترجمة للمنار والفتح صديقنا الاستاذ العلامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المدرس في مدرسة دار العلوم الندوية في الهند

(١) المنار: الحديث متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص بلفظ « ينتزعه من العباد » والباقي كما قال

(٢) في المقاصد الحسنة ومختصره وفي الدرر المنتثرة ان كلمة كل عام ترذلون من كلام الحسن البصري وفي معناها حديث البخاري وغيره « لا يأتي عليكم زمان - وفي رواية عام - إلا والذي بعده شر منه » وفي بعض الروايات من البيان له مثل ما ذكر عن ابن مسعود

(الباشا) التركية في عهد الترك فسأل هذا الوجيه الحافظ الدكالي أن يبعث معه من يرتضيه من العلماء ليؤسس له مدرسة ومسجداً ويقف عليهما مايكفي للنفقة عليهما من المال، فندب لهذا الامر صاحب الترجمة فامتثل أمره وتوجه الى الزبير وأقام بها ينشر العلم صابراً على أذى شياطين المتفقهة ممن يشرقون بنشر العلم النافع المحمدي الصحيح ، لانه يبطل نواميسهم ومكرهم الذي نصبوه حبالة لصيد الحطام، وقد أجمعوا أمرهم على اخراجه وشكوه مرارا وهو صابر ثابت على خطته في نشر العلم والاعراض عن الجاهلين ،وكان رحمه الله آية في الحلم. يعيني رأيت أكبر أعدائه الذي كان سببا لكل ما أصابه من الاذى التجأ اليه في شدة اصابته فقابله الشيخ الفقيد بماجبل عليه من البشاشة واخرج أوراقا مالية فناوله إياها ، ثم أمر أحد التجار أن يعطيه عدة أكياس من الرز على حسابه ، هذا بعد مافشل ذلك الشيخ المشاغب في جميع محاولاته . ووقائع حلمه مشهورة،وكان سراجا منيرا في الخليج الفارسي وبلاد العراق ونجد .

وفي زمن الحرب الطرابلسية شد الرحل من العراق الى طرابلس للجهاد ، وسافر الى بلاد نجد ليستوطنها فراراً من الكون تحت تأثير الاوربيين فلم يستقم له ماأراد، فرجع بعد ماأقام بعنيزة أربع سنين قضاها كلها في نشر العلم والعمل ، وترك أهل عنيزة كلهم ألسنا ناطقة بالثناء عليه ، ثم توجه الى الكويت وما مضت عليه هناك إلا ليلة واحدة حتى نفي لاتهامه بعداوة الانكليز ، فتوجه الى الزبير ثانية وأسس (مدرسة النجاة)هناك وكانت الامية والجهل مخيمين على بلدة الزبير ، فحاربتهما هذه المدرسة بأن ضمت بين جدرانها مئات من أولاد اسماعيل وقحطان ، فهذبت من أخلاقهم، وتخرج فيها خلق من الكتاب والادباء والعلماء،ولا تزال قائمة إلى الآن .

ولما ازدهرت هذه المدرسة التهبت قلوب المتفقهة حسداً ، وكبر عليهم مقام الشيخ وتذ كيره بآيات الله ، فأجمعوا أمرهم ليقضوا عليه ولا ينظروه ، فرموه بأنه يعلم تعليما وهابيا يسمم أفكار شبان العراق ، وزخرفوا هذه الوشاية الى ولاة الامر ليقطعوا الاعانة التي كانت تتلقاها المدرسة من وزارة الاوقاف العراقية ومن وزارة المعارف ومجموعهما اثنا عشر ألف روبية فكادت المكيدة تنجح ولكن الشيخ بادر بالتوجه الى بغداد وعرض عليهم منهاج الدروس ولم يكن فيه

شيء مما يسميه الجهلة وهابية الا العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية (ولا يخفى أن الجهلة يعدون ابن تيمية وهابيا) فحذفها الشيخ من المنهاج وجعل محلها عقيدة الامام ابن أبي زيد القيرواني المالكي فبطل كيدهم واستمرت الاعانة جارية .

ثم بعد سنة جدد أولئك الشياطين الكرة فنجحوا وقطعت اعانة الاوقاف ولأمر آخر نذكره لأن فيه عبرة للمسلمين قطعت اعانة المعارف أيضا ، وذلك ان الشيخ كان عضوا في ادارة المعارف بالبصرة وكان قد بقي في المدارس الابتدائية بالعراق درس ديني أو درسان في الاسبوع وهذه الدروس الدينية كلها لاتزيد على بضع كراريس بقطع صغير في العقائد اجمالا والطهارة والصلاة والصوم والحج وكانوا يعينون لتدريس هذه الدروس عالما أو مُلاًّ كما يقولون من المتدينين أو المعممين كما يسميهم المتنورون !!! فاجتمع هؤلاء المتنورون بنورة أعداء العروبة والاسلام وقرروا تطهير المدارس من هؤلاء المعممين، وأجمعوا على أن يعينوا بدلهم شبانا من المتنورين ، فعقدوا اجتماعا دعوا فيه الاستاذ الفقيد للحضور وعرضوا عليه هذا المكر الذي بيتوه وأضافوا اليه من سب المعممين والوقيعة بهم ماشاءت لهم النورة ، فامتنع الشيخ من الموافقة امتناعا كليا، وكان رحمه الله على ما فيه من الحلم النادر اذا وصل الامر الى هدم الاصول يتصلب فلا تلين قناته لغامز ، فجعل بعض المتنورين يجادله فتكلم الشيخ وقال : أنا أعرف الشبان وأعرف المعممين فهبوا أنهم بلغوا في البلادة والجمود كل مبلغ ولكنهم يعملون بما يعلمون ، يعلمون التوحيد وصفات الله وهم بها مؤمنون ، وأما هؤلاء الشبان فانا نراهم متى ذكروا العقائد بادروا الى السخرية التي لقنهم أعداء العرب والاسلام . ثم يعلمون أركان الاسلام وهم يؤدونها وأما هؤلاء الشبان فلا يتوضئون ولا يصلون ولا يصومون ولا يحجون، فهل تظنون أن الاسلام لعبة يصح بمجرد الدعوى الفارغة ! وبعد هذا انصرف من مجلسهم فتسببوا في قطع الالفين اللذين كانت تعطيهما وزارة المعارف وبقيت المدرسة على تبرعات المحسنين وقليل ماهم، فنقصت حتى صارت على الثلث وكم حاول قوم من الاعيان أن يقنعوا الشيخ بالخضوع الى سلوك منهاج المعارف والسير تحت مراقبة مفتشها وترد النفقات التي قطعت فأبى وجمع من

يظن بهم الاخلاص من المدرسين وخطب فيهم وذكرهم بما يجب عليهم من خدمة الامة فقنعوا كلهم أن يأخذوا ربع أو ثلث ماكانوا يأخذون من الرواتب ولا ينهزمون. وكان رحمه الله قدوتهم في ذلك فانه كان يأخذ في زمان ميسرة المدرسة ١٥٠ روبية فأنزلها الى ٥٠ وبقيت المدرسة عامرة الى الآن، وسكنها لاتستطيع أن تقبل من الطلبة إلا نحو نصف العدد الذي كانت تحويه من قبل. ومناقب هذا الامام كثيرة يضيق هذا المقام عن عشر معشارها

توفي الى رحمة الله ضحى يوم الجمعة ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٥١ على رأس ستين سنة كلها جهاد وصلاح وخير للمسلمين ولم يتخلف عن جنازته أحد من أهل الفضل من البلدين البصرة والزبير، ولو كانت البلاد محتوية على وسائل النقل لحضر جنازته الجم الغفير من أهل نجد وأهل الخليج الفارسي وأهل العراق. فالله يلهم ذويه الصبر الجميل ويخلفه على المسلمين وان كان كما قال الشاعر

حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يازمان فكفر

ولكن الله يفعل مايشاء

(المنار) لله درّ أخينا الاستاذ الهلالي آتى بخير خلاصة لترجمة هذا الامام المصلح بأدق عبارة وأجمعها للفوائد، وأنزهها في التعبير، ولا سيما موقف الرجل بين فريقي الشيوخ الجامدين، والشبان المتفرنجين، الذين يكاد يضيع الاسلام بينهما، فالشيوخ على محافظتهم على التقاليد الخرافية المنفرة عن الاسلام ومحاربتهم للاصلاح الديني والدنيوي لايزالون يقومون بشعائر الاسلام وأركانه علما وعملا، وبهذا فضلهم الشيخ رحمه الله على الشبان الذين ليس لهم من الاسلام الا الجنسية السياسية وأسماء الاعلام ولكنهم يعنون بالاصلاح الاداري والسياسي، ونراهم ينتصرون على الشيوخ في الحكومات التي ترى نفسها مضطرة الى نظام المدنية المصري، وبهذا حملوا حكومة العراق على إلغاء الاعانتين اللتين كانت تساعد بهما (مدرسة النجاة) من وزارتي المعارف والاوقاف. وهي خير من جميع مدارس العراق، فعسى أن تعيد النظر الى ذلك وزارة العراق الجديدة التي هي أرجى وزارة ألفت في دولتها الجديدة وتعيد اليها الاعانتين، فلن ينفعها الاصلاح المدني بدون الاصلاح الديني والله الموفق

السيد أحمد الشريف السنوسي

في العشر الاخير من الشهر الماضي (ذي القعدة) نعت أنباء المدينة المنورة إلى العالم الاسلامي السيد الكبير ، والعلم الشهير ، والمجاهد المعظم ، السيد أحمد الشريف السنوسي كبير السادة السنوسية وزعيمهم ، وإمامهم ومرشدهم ، وقائدهم في معارك القتال ، ومعامع الابطال

قام النعيّ فأسمعا ونعى الكريم الأروعا

نعم قام نعيه في مدينة الرسول الاعظم ، فأسمع كل مؤمن بجده محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فوجلت له قلوب وزرفت عيون ، وفاضت شؤون ، بكته الحجاز واليمن والسودان ، وطرابلس وبرقة ومصر والعراق والشام ، وسائر بلاد الاسلام ، فماذا يقول القائلون ، وماذا يكتب الكاتبون ، إنا لله وإنا اليه راجعون

إن السيد أحمد الشريف السنوسي من أشهر رجال الاسلام في هذا العصر اشتهر بالصلاح والتقوى ، واشتهر بالكرم والمروءة ، واشتهر بالزعامة والامامة ، ثم اشتهر بالجهاد بالمال والنفس في الدفاع عن قومه ووطنه ، ثم اشتهر بعلو المقام عند الدولة العلية العثمانية ، إذ كان هو الذي قلد السلطان محمد السادس السيف في حفلة مبايعته خلافاً للتقاليد المتبعة في الدولة ، وأنعم عليه برتبة الوزارة السامية وبالنشان المرصع ، ثم كان له عند المجاهدين من الترك في الاناضول مقام عال ، واشتهر انهم عرضوا عليه منصب الخلافة الروحية التي قلدوها السلطان عبدالمجيد بعد إخراج السلطان محمد السادس من الآستانة فأبى ، ثم انهم قطعوا راتبه بعد تمام الظفر ، والشروع في الانقلاب الالحادي المنتظر ، واضطروه الى الخروج من بلادهم فخرج الى سورية فلم تأذن له فرنسة بالاقامة فيها ، واحب أن يأوي الى مصر فعلم انه لاسبيل له الى الوصول اليها ، فلجأ الى الحجاز ، فتلقاه ملك العربية السعودية بالقبول والاعزاز ، وأجرى عليه من الرزق مايليق به ، الى أن توفاه الله بجوار رسوله ﷺ في رحابه ، ودفن في البقيع مع آل بيته وأصحابه

ولكن كل هذه المظاهر العالية للشهرة ملائمها ومؤلها قاصرة عن معرفة كنه هذا السيد الاروع ، والهمام السميدع ، وانما العلم التام بها يتوقف على الوقوف على تاريخ السادة السنوسية التي هي أسرته وعشيرته ، والطريقة السنوسية التي أسسها هو وأبوه وجده ، وماذا فعلت من إصلاح ديني وعمراني ، وما كان لها في أنفس الافرنج عامة والفرنسيس خاصة من الشأن السياسي ، وكيف استطاعت دولة فرنسة افساد بأس جميع طرائق المتصوفة في افريقية واستمالة شيوخها بالرشوة إلا الطريقة السنوسية

كان الجهل والفساد فاشيين في بلاد برقة وما يليها الى أحشاء السودان فجاءها السيد محمد علي السنوسي الكبير فنشر فيها العلم والدين والعمران، وأسس الزوايا الكثيرة بنظام عمراني بديع ،فكانت مدارس علم ، ومساجد عبادة ، ومعاقل أمن وحماية ، ومنازل ضيافة ، ومحطات تجارة ، وثكنات مرابطة ، عمرت بها البلاد وأمن العباد ، وكثر العبَّاد ، وحسبها الطامعون كل حساب ، ولولا السنوسية لما ذاقت إيطالية من جهاد العرب في برقة وطرابلس ما أفقدها مئات الالوف من الرجال ، وألوف الالوف من الاموال . وللسنوسية زوايا كثيرة في الحجاز أيضا

ولا يجد طالب تاريخ السنوسية طلبته دانية الجنى الا في ذيول كتاب حاضر العالم الاسلامي بقلم أمير البيان ، وخاتمة مؤرخي الاسلام ، الامير شكيب أرسلان ، وإنني أنبه الذهن قراء المنار في تأبين هذا السيد الزعيم المجاهد لما لعلهم لا يجدونه في غير المنار من الصحف وهو :

لقد كان هذا السيد الزعيم الكريم أول مصداق ظاهر للاحاديث الصحيحة الواردة في أروز الاسلام الى الحجاز ، واعتصامه فيه من الاعداء، كما تعتصم الوعول في شناخيب الجبال

قال ﷺ « إن الاسلام ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » رواه الشيخان من حديث أبي هريرة . وقال « إن الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية

الى جحرها ، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الاروية من رأس الجبل » الخ [١] رواه الترمذي من حديث عمرو بن عوف المزني ، وقال ﷺ « إن الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » رواه مسلم من حديث عبدالله بن عمر . ولهذا المعنى أوصى النبي مرار آخرها قبيل وفاته باخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وألا يبقى فيها دينان ، وهو من آيات النبوة التي لايتمارى فيها عاقلان

وفحوى هذه الاحاديث ان دين الاسلام الذي خرج من مهده الحجاز وانبسط في الارض فاتحا مصلحا سوف يغلب على أمره ويضطهد أهله بتداعي الامم عليهم ، حتى يضطر الى الانقباض والاروز الى وطنه الاصلي الخاص به وهو الحجاز ، فيعتصم فيه ويكون له معقلا وملجأ ، وهذا النبأ النبوي الذي يعد من أظهر أنباء الغيب يصدق بدين الاسلام نفسه وبرجاله وأنصاره ، والسيد السنوسي من أظهرهم وقد ضاقت عليه مملكة الجمهورية التركية اللادينية فأخرجته بعد ما كان من مقامه الكريم فيها ، ولم يجد له ملجأ في سورية ولا في مصر فضلا عن وطنه ووطن عشيرته وطائفته الخاص ، فأرز الى وطن دينه ومعقله من الحجاز حتى توفي في المدينة المنورة على منورها ومشرفها وآله أفضل الصلاة والسلام

فيجب على المسلمين كافة أن يعنوا بتقوية هذا المأرز والمركز لدينهم ، وحفظه من الاجانب الطامعين ، وعدم تمكينهم مما يكيدونه له لوضعه تحت سيطرتهم البرية والبحرية من ناحية العقبة ومعان وشرق الاردن وغيرها ، فوفاة السيد السنوسي في المدينة بعد تعذر إقامته في غير الحجاز من بلاد الاسلام أكبر عبرة للمعتبرين ، تغمده الله تعالى بواسع رحمته ، وجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في دار كرامته ، ووفق الامة للانتفاع بسيرته في حياته وموته .

---

(١) يقال أرز الشيء (من باب نصر وضرب وعلم) أرزاً وأروزا بمعنى تقبض وانكمش ورجع ، وأرزت الحية الى جحرها انقبضت وتراجعت اليه ، وارز الرجل الى وطنه انقبض وكف عن التجول في الارض راجعا اليه ، والاروية بالضم وتشديد الياء الوعل أي تيس الجبل يطلق على ذكره وأنثاه .

صلاة الغائب

(على السيد السنوسي ، وفوائدها الدينية والسياسية)

بعد صلاة الجمعة الاولى من شهر المحرم فاتحة سنة ١٣٥٢ تقام صلاة الغائب على الزعيم الاسلامي والمجاهد المعظم والمرشد الشهير السيد احمد الشريف السنوسي (قدس الله روحه) في جميع المساجد الجامعة في القطر المصري وسائر الاقطار التي بلغتها الدعوة الى هذه الصلاة من مكتب المؤتمر الاسلامي العام في القدس الشريف .

ستكون هذه الصلاة ممتازة بمعنى لم يسبق له نظير في مثيلاتها من صلاة الغائب التي يقيمها المسلمون في بعض الاقطار عند ما يموت عظيم من عظماء الاسلام في علمه الواسع وعمله النافع ، لا باتصاف السيد السنوسي بشرف النسب والحسب ولا باشتهاره بالصلاح والتقوى ولا بمكانته المعروفة في العلم والعمل والارشاد والاصلاح ، والبر والاحسان ، ولا بالجاه العريض الذي ناله بتقليده سيف البيعة للسلطان محمد الخامس وانعام السلطان عليه بلقب الوزارة والنشان المرصع ، فكان أول عالم مرشد معمم تحلى بها كما تقدم آنفا

بل تمتاز هذه الصلاة على هذا الرجل العظيم بعمل له هو الذي تم به كماله وهو الجهاد بماله ونفسه في سبيل الله دفاعا عن دينه وقومه ووطنه ، وبما آل اليه أمره من جراء هذا الجهاد من هجرته الاولى الى بلاد الترك ، ثم من اخراجه منها وتعذر رجوعه إلى وطنه ، وتعذر إقامته في سورية ومصر وفي كل قطر اسلامي خاضع لنفوذ الدول الاستعمارية الثلاث المحاربة للاسلام المستذلة للمسلمين ، وقد قاتلها كلها في سبيل الله ، حتى لجأ أخيراً إلى مهد الاسلام من حرم الله وحرم رسوله ﷺ ومات بجوار جده صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، فبهذا كله صار للصلاة عليه معنى لم يسبق لغيره من عظماء الاسلام ، أذكره لأذكر به كل مسلم يصلي عليه صلاة الغائب عقب صلاة الجمعة في ذلك اليوم المشهود

أعني بهذا هو أن يقصد بالصلاة مع ثواب إقامة هذه السنة القاصر على من

أقامها إحياء الشعور الاسلامي بوجوب الدفاع عن الاسلام وتأييد المجاهدين في سبيل الله، والتكافل بين المسلمين في وجوه أعدائهم في دينهم وأقوامهم وأوطانهم، السالبين لاستقلال الملايين منهم، حتى صار يتعذر على مثل هذا الرجل العظيم بكل ما للعظمة من المعاني الصورية والمعنوية، الدينية والدنيوية

يجب أن يتذكر الذين يصلون على هذا الزعيم العظيم ان الاسلام مهدد في أكثر البلاد التي تسمى إسلامية باضطهاد من يخدمونه ويقومون بحقوقه

وان الذي جرأ أعداءه على هذا العدوان والاضطهاد هو غفلة المسلمين عن أنفسهم، وجهل أكثرهم بما حل بهم، حتى طمع أعداؤهم بإخراج الملايين عن دينهم نفسه فلم يكتفوا بسلب ملكهم

وأذكر أئمة المساجد وخطباءها بان يذكروا المصلين على المنابر بعد الفراغ من الخطبة خبر هذه الصلاة ويطلبوا منهم البقاء بعد صلاة الجمعة ليقيموا هذه السنة وينالوا أجر الصلاة على هذا الزعيم المجاهد الكبير، عسى أن يفتح الله تعالى على كل خطيب منهم من عبارات التذكير، ثم يذكرهم المؤذن بعد الفراغ من صلاة الجمعة بذلك لئلا ينصرفوا

وعسى أن يكون لعلماء الازهر الشريف أكبر مظهر في هذا يؤثر عنهم.

(الخوجه كمال الدين الهندي)

توفي في سلخ شعبان من هذه السنة (١٣٥١) أيضا أكبر الدعاة الى الاسلام في هذا العصر الخوجه كمال الدين الهندي إمام جماعة المسلمين في مسجد ووكنج في لندن ومحرر مجلة الاسلام التي تصدر باللغة الانكليزية هنالك، وقد أسلم بدعوته كثير من رجال الانكليز ونسائهم، أجلهم قدرا، وأرفعهم قدرا، لورد هدلي الذي سمي بعد اهتدائه (الفاروق) وقد حج مع استاذه كمال الدين، وخدم الاسلام خدمة جليلة، وللخوجه كمال الدين رحمه الله تعالى مصنفات في الاسلام مفيدة كانت خير مروج لدعوته اليه، وقد اشتهر انه كان من اتباع مسيح الهند الدجال القادياني المعتدلين، ولكن كذب ذلك بعض العارفين بأحواله، وأخبرني من يقرأ مجلته منذ سنين انه لم ير فيها ما يدل على ذلك. وهاك خلاصة ترجمته

(ملخص ترجمة الفقيد رحمه الله)

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ صاحب المنار

نبعث اليكم مع هذا ترجمة حياة المرحوم الخوجا كمال الدين لتتفضلوا بنشرها في مجلتكم القيمة ولكم الشكر خوجا عبد الغني

سكرتير الجمعية الاسلامية لاهور

أسلم المرحوم الخوجا كمال الدين الروح يوم الاربعاء في الثامن والعشرين من شهر ديسمبر سنة ٩٣٢

ولد الفقيد عام ١٨٧٠ لوالده الخوجا عزيز الدين بمدينة لاهور (البنجاب) فهو حفيد الشاعر المشهور الخوجا عبد الرشيد الذي كان قاضي لاهور أيام حكومة السيخ وقد اشتهر بيته بالعلم والفضل.

بدأ الفقيد دراسته في مدرسة الحكومة، ثم انتقل إلى كلية فورمان بلاهور فنال منها شهادة البكالوريا في الآداب والعلوم، ونال الميدالية في الاقتصاد من جامعة البنجاب، وعين أستاذاً في كلية لاهور الاسلامية، ثم مالبث ان صار مديراً لها، وفي عام ١٨٩٨ نال شهادة الحقوق من درجة البكالوريا، ومارس المحاماة في بشاور ست سنوات وعاد بعدها في ١٩٠٣ الى لاهور حيث أصبح في زمن يسير من كبار المحامين لدى محكمة البنجاب الرئيسية وفي تلك الاثناء طاف بلدان الهند يلقي فيها المحاضرات عن الاسلام وقد اختارته جامعة عليكره الاسلامية عضواً في هيئة كبار علمائها وأمينا في لجنة أمنائها، ثم بارح الهند إلى انكلترة عام ١٩١٢ للدعوة إلى الاسلام وحده مستقلا بنفسه، تاركا عن طيبة خاطر ماحازه في بلاده من مكانة عالية وشهرة واسعة في المحاماة كانت تدرعليه أرباحا طائلة، فلم يتوقع له أحد من أهل وطنه نجاحا فيما وطد العزم عليه، إلا ان الحوادث قد أثبتت بعدئذ ان رحلته هذه كانت فتحا جديداً للاسلام في الغرب.

أقام الفقيد في ووكنج بانكلترة وأنشأ فيها بنفقته الخاصة «المجلة الاسلامية» فاتسعت دائرة انتشارها وذاع صيتها مع الايام ثم أنشأ في لاهور عام ١٩١٤ مجلة مماثلة لها

باللغة الاوردية باسم (رسالة اشاعتي اسلام) وكان محرر المجلتين بما عهد فيه من مقدرة وكفاءة نادرة مدة عشرين عاما كانت وفاته في نهايتها، وفي عام ١٩١٣ تولى الامامة بمسجد «شاه جهان» بووكنج وبقيت له هذه الامامة حتى توفي. وقد كتب نحو مائة مؤلف في الاسلام والاديان الاخرى كان لها أثر محمود في المعاهد والبيئات الدينية

لم يكن يقول بشيء من الفوارق بين الفرق الاسلامية بل كانت كلها في نظره سواء ، وكان جل مراده وأهم مقاصده ان يعود الاسلام الى ما كان عليه في عصر النبوة من البساطة والنقاء ، ولعل هذا القصد كان سر نجاحه وإثمار جهاده ،فهدى الله تعالى به وحده الى الاسلام ماينيف على ألف نسمة من الانكليز من رجال ونساء ، منهم لورد هدلي الشهير

وقد طاف الفقيد أوربة وافريقيه والشرق الادنى والاقصى داعيا إلى الاسلام ناشراً لواء هدايته ، وحج البيت الحرام مرتين أولاهما في عام ١٩١٥ والثانية مع لورد هدلي عام ٩٢٣

وكان في حياته عنوان البساطة والتضحية في سبيل الاسلام واعلاء شأنه ورفع مناره ،وقد انهمك في أواخر حياته بترجمة القرآن وتفسيره بالانكليزية مع ما كان عليه من ضعف تخشى عليه الاطباء مغبة الانهماك وتحميل نفسه فوق ما تستطيعه ، ونصحوا له ترك العمل ريثما يسترد قوته فلم يأبه لنصحهم وتابع ماشرع فيه ، وكان له في الهند أملاك تقدر بنحو لك ونصف (أي مائة وخمسين ألف روبيه)

وفي عام ١٩٢٧ عندما شعر بثقل المرض عليه وقف جميع أملاكه لبعثة وكنج الاسلامية وأما حقوق مؤلفاته والمجلة الاسلامية فقد جعل الحق فيها للجمعية الاسلامية في لاهور

كان الخوجا كال الدين ذا شخصية فذة ، وكان خطيبا مفوها يقف في الجماهير ساعات بطلعته المهيبة فلا يشعرون خلالها بملل ولا سامة . وكانت صفاته الممتازة تحببه الى جميع عارفيه ورواد مجلسه ، ولا نبالغ اذا قلنا انه قد انتقل الى الدار الآخرة تاركا كل من اتصلوا به أصدقاء ليس بينهم عدو واحد،وقد خدم الاسلام أجل خدمة ولم يكن له نظير في وقتنا هذا. وسيكون من الصعب بل من المستحيل ملء الفراغ الكبير الذي أحدثه فقده تغمده الله بالرحمة والرضوان اه

تقريظ المطبوعات الجديدة

اننا لكثرة أعمالنا ومنها انفرادنا بالتحرير والتصحيح للمجلة ولكثير من مطبوعات دار المنار لانجد فرصة نطلع فيها على مايهدى الينا من المطبوعات لنقضي حق أصحابها وحق الامة علينا بتقريظها ونقدها فكنا نرجئه من سنة الى أخرى رجاء اقتناص الفرص ولا تزال تفر منا ، فنحاول ذكرها على سبيل التعريف الوجيز كما تفعل بعض المجلات فيعز علينا ذلك فيما نراه كبير الفائدة فنقرظ في العام قليلا منها ، واننا نفتتح هذه السنة بالتنويه بأهمها مبتدئين بكتاب جليل في خاتم النبيين وهو :

﴿ محمد ﷺ المثل الكامل ﴾

مؤلفه الكاتب الاسلامي الاجتماعي العالم الديني المصري الاستاذ محمد احمد جاد المولى المفتش بوزارة المعارف — وقد طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٩ على ورق جيد بحروفها الجميلة ، وأعيد طبعه في هذه السنة ١٣٥١ فيها أيضاً . صفحاته ٢٧١ صفحة

تدخل « محتويات الكتاب » بعد المقدمة في عشرة أبواب (١) عنوانه : إلى محمد ﷺ ترد الفضائل جميعها (٢) محمد ﷺ بين الرسل (٣) الاسباب الاجتماعية والاقتصادية التي اقتضت بعثته (٤) مراحل حصول النبوة واستقرارها (٥) الادلة القاطعة على صدق نبوته ﷺ (٦) محمد ﷺ أكبر المصلحين نجاحا (٧) محمد ﷺ أوفى الانبياء دينا (٨) محمد ﷺ أشرف الخلق (٩) محمد ﷺ أجدر الناس بالايمان به ومحبته واتباعه وطاعته (١٠) موجز السيرة النبوية

وفي كل باب من هذه الابواب مسائل مهمة مفصلة أحسن التفصيل بأسلوب فصيح لاتجدها مستوفاة في كتب السيرة المطولات ، وما يوجد فيها منها يعسر استخراجه على أكثر القراء في هذا الزمان ، فهو قد استخرج الزبد من تلك الالبان الروحانية التي لايتغير طعمها ، والعسل المصفى من تلك الثمار النبوية الشهية اليانعة ، ببيان تلذ قراءته جميع الناس ، وتفيد جميع القارئين ، ولكنه قد عد في

الادلة العقلية على صدق نبوته ﷺ ماهو من الفضائل الادبية والمزايا الاجتماعية؛ لانها تؤيد الدليل العقلي في جملتها ، كما عد ما ذكره من مزايا القرآن في اعجازه معجزة في جملتها لا في كل فرد منها ، وقال مثل ذلك الاحاديث النبوية جميعها

وأورد كثيراً من الاحاديث في أبوابه غير مخرّجة لنقله إياها من كتب المتأخرين فكانت مختلفة الدرجات، ومنها رفع ماليس بمرفوع ، ولا تخلو ضعافها من الموضوع ، ومن ذلك أثر مروي عن عمر بن الخطاب (رض) سقط منه متعلق الخبر المقصود وهو « الناس بزمانهم أشبه » هكذا أورده في الشواهد على إيجاز النبي ﷺ وهو غير مرفوع ولفظ الاثر « أشبه منهم بآبائهم » ومثل هذا الكتاب في نفاسته وعظم فائدته ، وجدارته بالتدريس في المدارس الثانوية أو العالية يجب ألا يذكر فيه غير الاحاديث الصحيحة أو الحسنة المعزوة الى مخرجيها من حفاظ السنة . وقد علمت أنه عازم على ذلك عند إعادة طبع الكتاب مرة ثالثة ، كما أنه عازم على إعادة النظر فيما كتبه من سوء حال الامة العربية وما كان من مساويها قبل البعثة المحمدية وأن يزيد على ماينقحه منها ذكر بعض فضائلها التي أشرنا اليها في خلاصة السيرة المحمدية وهي من مراجع هذا الكتاب النفيس كما ان من مراجعه كتاب رسالة التوحيد للاستاذ الامام ولعله نسي أن يذكرها معها

ومن حسن ذوق المؤلف وفهمه انه سمى كتابه (محمد المثل الكامل) ولم يقل « المثل الاعلى » لان الله عز وجل قال في كتابه العزيز (ولله المثل الاعلى) وهو يفيد الاختصاص ، فهل يعتبر بهذا هؤلاء الكتاب المجازفون المقلدون الذين ابتذلوا هذا الوصف الاعلى فصاروا يبذلونه لكل من يمدحونه وان كان لا يستحق المدح بما دون هذا

وانني أنصح لوزارة المعارف ولمديري المدارس الاهلية الاسلامية بتدريس هذا الكتاب في مدارسهم، ولسائر المسلمين بمطالعته

وثمن النسخة منه ١٠ قروش صاغ وهو يطلب من مكتبة دار المنار بمصر

(كتاب الجنايات المتحدة في القانون والشريعة)

كتاب حديث في وضعه وموضوعه ، ألفه وطبعه منذ سنتين الاستاذ الفاضل « الشيخ رضوان شافعي المتعافي خريج قسم التخصص في الشريعة الاسلامية ومدرسة دار العلوم العليا » حاول فيه بيان « مقدار المماثلة الاسلامية بين قانون العقوبات الاهلية وشروحه وبين الشريعة الاسلامية » ويعني بالشريعة الاسلامية ماتقرر في كتب الفقه المشهورة . والغرض من هذا انه قلما يوجد في قانون العقوبات حكم لا يوجد له نظير في كتب الفقه مثله أو خير منه « فلا عذر اذاً لحكومة إسلامية كحكومة مصر أن تستمد قانونها من كتب الافرنج دون كتب الفقه الاسلامي وهي تجد كل ما يحتاج اليه لحفظ الامن وتأديب المتدين في كتب الشرع الديني الذي تنسب اليه دولتها ، وتدين الله به أمتها . وهذا غرض صحيح طالما أثبته في المنار وبينت فوائده الدينية والاجتماعية والسياسية ، واقترحت على العلماء الواقفين على الفقه الاسلامي والقوانين الوضعية أن يؤلفوا فيه كتابا أو كتبا باسلوب القوانين ويحملوا الامة على مطالبة حكومتهم بتنفيذه

وقد فتح هذا الكتاب الجديد لهم باب العمل وأورد لهم النماذج منه ، فمهما يكن من آرائهم في مسائله فما أرى انهم يختلفون في صحة الغرض الذى ذكرناه وانه قد آن وضع المشروع التفصيلي الذي اقترحناه من قبل لتنفيذه

هذا وان أكثر بضاعة المؤلف التي يعرضها في أمثال هذه المسائل يأخذها من كتب الفقه الحنفي وهي من مباحث الاسلام العامة وحكمته في التشريع لا من المباحث المذهبية ، ولذلك نراها قاصرة ، ونراه عرضة للعثار اذا عرض لدلائل الكتاب والسنة وما استنبط منها كعثرته فيما انتقده على تفسير المنار في مسألة الربا . ومنه زعمه أن الربا حرم في أول الاسلام بمكة بنص قوله تعالى في سورة الروم (وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) والآية لاتدل على تحريم الربا ولا على فرضية الزكاة دلالة قطعية ، ولا على قاعدة مذهب الحنفية في الفرضية والتحريم ، ولا

ظنية أيضا ، ولذلك لم يقل بدلالتها على الامرين أحد من علماء الصحابة والتابعين ولا أئمة الفقه ، وانما هي من قبيل قوله تعالى في سورة سبأ (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون)

نقل هذا المؤلف جملة مما كتبناه في التفسير من التفرقة بين الربا المحرم بنص القرآن القطعي وما ثبت منه بروايات الآحاد الظنية وأقيسة العلماء، وهو يتضمن ماأجمع عليه العلماء من ان الربا حرم بعد الهجرة بآية آل عمران وآيات البقرة— ورد علينا بزعمه انه حرم في مكة بآية سورة الروم ، وقرر الاستدلال بقوله :

« وقد تقرر في علم الاصول ان لفظ ما من صيغ العموم ولا شك في أن الربا ذكر في آية الروم بلفظ منكر مبينا للفظ ما يشمل كل نوع يسمى ربا »

ثم ذكر ان السنة الصحيحة لم تبين أنواع الربا ولكن الأئمة استنبطوا من الاحاديث التي صحت عندهم جميع الانواع ، فاذا كان القرآن بينها كلها فأي حاجة بعد لاستنباط الأئمة لها من الاحاديث ؟

الحق الواضح ان آية سورة الروم لاتدل على تحريم الربا مطلقا فعموم لفظها وعدمه سواء .وقد نقل المفسرون أنها نزلت في الهدايا والعطايا التي يرجو باذلوها أن يعطوا من المقابلة عليها أكثر منها ،رووا هذا عن ابن عباس ومجاهد وسعيد ابن جبير والضحاك ولفظ الاخير في تفسير الآية: هو الربا الحلال أن تهدي تريد أكثر منه، وليس له أجر ولا وزر ، ونهي عنه النبي ﷺ خاصة فقال (ولا تمنن تستكثر)قال في الدر المنثور بعد ايراده :وروى البيهقي في سننه عن ابن عباس مثله. وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي (رض) في الآية قال :الرجل يعطى الشيء ليكافئه به ويزاد عليه فلا يربو عند الله ، والآخر الذي يعطي الشيء لوجه الله ولا يريد من صاحبه جزاء ولا مكافأة فذلك الذي يضعف عند الله تعالى .اه

فعلى الاستاذ الشيخ رضوان أن يدقق في البحث ويطلع على الروايات ومسائل الاجماع ومدارك الخلاف ،قبل أن يتصدى للحكم الاستقلالي الاستدلالي في الشرع

الاسلام دين عام خالد

كتاب جديد للكاتب الاجتماعي المشهور الاستاذ محمد فريد أفندي وجدي مؤلف من مقالات نشرها في جريدة الجهاد السياسية اليومية ثم جمعها في سفر بلغت صفحاته ١٩٠ صفحة من القطع الصغير، وصفه بقوله عنه « تحليل دقيق لاصول الدين الاسلامي تحت ضوء العلم والفلسفة » وقد جاءتنا نسخة منه في البريد والعهد بصاحبه أنه غضب علينا لانتقادنا بعض كتبه منذ ربع قرن أو أكثر، فما عاد يهدي الينا شيئا من مصنفاته على ما كان بيننا من تعارف وتآلف منذ السنة الاولى من هجرتنا الى مصر (سنة ١٣١٥) بل كتب مقالات شديدة في الطعن علينا: ونحن قد أمسكنا عن الرد على ما نراه أحيانا من الخطأ في كتبه وفيما ينشره في الجرائد لئلا يتخذ انتقادنا وسيلة للجدل المذموم أو لما هو شر منه، ولا أدري أهو الذي أهداني هذا الكتاب الجديد لثقته بأنه قد حرره واجتنب فيه الآراء الشاذة المنتقدة عند أمثالنا من المشتغلين بالاصلاح الديني والتجديد الاسلامي — وهو الارجح — أم أرسله الينا غيره ممن يحبون الوقوف على رأينا فيه، وأيا ما كان المرسل والباعث على الارسال فقد صار من الواجب علي أن أقرظ الكتاب وأبين لقراء المنار خلاصة رأيي فيه وفي صاحبه، على انني لم أقرأ الكتاب بعد وانما أبني كلمتي المجملة فيه على ما قرأته منه في جريدة الجهاد وقد أراجع ذلك فيه للتثبت وربما كان هذا الاجمال هو الذي يضطرني الى مطالعته والتفصيل في نقده عند سنوح الفرصة

إن الاستاذ فريد أفندي وجدي كاتب سيال القلم في المباحث الاجتماعية والمدنية الاسلامية، شديد التأثر والاعجاب بالفلسفة المصرية ومذهب استحضار الارواح، ولكنه مضطرب متناقض في كل ما كتبه عن الاسلام لقلة علمه بأصوله وفروعه وكتابه وسنته وتشريعه، ومن أظهر هذا العلم الناقص المضطرب أنه يأخذ رواية شاذة ظنية رجع عنها صاحبها في فرع خاص من الفروع العملية الظنية كالرواية عن أبي حنيفة في صحة الصلاة بقراءة ما يجب فيها من القرآن مترجما بغير العربية فيجعلها حجة على رفض إجماع الامة وقاعدة كلية اسلامية يستدل

بها على شرعية ما فعلته حكومة الجمهورية التركية من ترجمة القرآن كله بالتركية وإكراه شعبها على التعبد به وإن اعتقدوا ان ذلك معصية لله أو كفر بدينه ، ومن منع الشعب من قراءة القرآن المنزل من عند الله باللغة العربية وعقاب من يقرؤه ومن يطبعه، زيادة على استحسانه منها رفض جميع كتب السنة والشريعة العربية

ومن المقرر في علم الاصول ان رأي المجتهد ليس حجة في الشرع ، وان الاجتهاد لا يصادم الاجماع ولا النص، وان القول الذي يرجع عنه المجتهد لا يعد مذهبا له

وأما هذا الكتاب فأرجو أن يكون أكثر ما فيه حسن أو نافع في جملته، ومن الحسن فيه ما له قيمة غالية ووزن راجح ، ومنفعة كبيرة، وهو بيان مزايا الاسلام بالاسلوب العصري المقبول عند نابتة المدارس الدنيوية ، وما ينقله عن علماء الافرنج من الثناء على عقائد الاسلام وتشريعه وحكمته وسيرة الرسول الاعظم في إقامته وسيرة خلفائه وقومه العرب في فتوحهم وحضارتهم ، ولكن ما فيه من الباطل في مقصده ، وما انفرد به من رأيه ومذهبه في فهم عقائد الاسلام وقواعده قد يجعلان إثمه أكبر من نفعه

إن فيه كبوات ونبوات كثيرة منها ما لا يقال له عثار ، ولا يقبل فيه اعتذار ، ومنها ما يحتمل التأويل ، وما يتسع المجال فيه للقال والقيل ، وسبب ذلك أنه لم يدرس علوم الاسلام من تفسير كتابه وسنة رسوله وأصول عقائده وفقهه وفروعه على أحد من العلماء ولا بنفسه دراسة علمية ، ان كان من الممكن فهمها بدون التلقي ، وانما معلوماته الدينية أمشاج علقت بذهنه من مطالعات متفرقة في الكتب والصحف شيبت بالنظريات الفلسفية والاجتماعية الحديثة ، فولدت له آراء منها المقبول ، ومنها الشاذ المردود بنصوص الكتاب والسنة ، أو اجماع الامة ، ويقع له فيها التناقض والتعارض

ولقد عهدته في شبابه أقل شذوذا مما قرأته له في السنين الاخيرة من مقالات نشرها في جريدة الاخبار ثم في الاهرام وشرها في انتصاره وتأييده لما فعلته حكومة الجمهورية التركية من المروق من الاسلام ومحاربة كتابه وسنته وتشريعه ، ومحاولة محو كل ما يذكر الشعب التركي الاسلامي به ، وبنائها ذلك كله على دعوى ارتقائها

في التجدد الانساني ارتقاء لا يمكننا معها أن تعتصم بدين قديم بال ... ومن العجيب أن هذا الكاتب الاسلامي وافقها على هذا المروق وعلى تعليله كما اشرنا اليه في كلامنا على محاولتها ترجمة القرآن بالتركية وكتابة الترجمة بالحروف اللاتينية، ولكننا لم نصرح باسمه فيه، وكنت فهمت من مقالات هذا الكتاب، أنه نهض من هذه السقطة وتاب، فاذا هو مصر عليها كما علم من رده على شيخ الاسلام السابق صبري أفندي في صحيفة الفتح الغراء

وأما شذوذه في هذا الكتاب فلا يصل الى هذا الحد من الشطط الصريح بل هو مزمل بنظريات الفلسفة، ومزين بالمدائح الحسنة، ومسجى بالدفاع عن الملة، وأول ما علق بذهني منه إذ قرأته في جريدة الجهاد هو انه فسر الدين والوحي والاسلام، وشأنه مع المنتهين من العلماء، تفسيرا فلسفيا مخالفا لما جاء به محمد رسول الله وخاتم النبيين، وفهمه منه وتلقاه عنه أصحابه والتابعون لهم وسائر أئمة المسلمين، ولكنه غير بالغ من الصراحة ما يفهم مراده منه كل مسلم

ومن تناقضه وتعارضه انه يوافقنا على ما قررناه مرارا كثيرة في توحيد الاسلام لشعوب البشر وقبائلهم في جميع الامور الدينية والمدنية لتحقيق الاخوة الانسانية العامة ثم تراه ينقض هذا بتأييده للجمهورية التركية في أفظع شقاق حدث في الاسلام بحجة عصبية اللغة وضرورة اختلاف التشريع، دع مخالفته في أساس الدين وبعض أصوله وشذوذه في فهمها

رأيه في أساس الدين وكون الاسلام هو الطبيعة

إن أساس الدين الذي عرفه في المقدمة الاولى من الفصل الاول من هذا البحث هو ان لهذا الوجود الظاهر روحا عاما وأرواحا خاصة بكل نوع من الموجودات وهذه الارواح كلها تستمد حياتها ونظامها من الروح العام، ومنها الانسان فهو يستمد حياته الجثمانية من ذلك الروح كما تستمد سائر انواع الحيوان وكذا النبات، ولكن له روحا عقليا آخر متصلا بالحياة الروحانية العامة وغاية الدين القصوى هي اتصال روح الانسان العقلي الخاص بروح الوجود العام اتصالا

ذاتيا مباشرا واندماجه فيه . وقد أخذ هذا الاساس من فلسفة وحدة الوجود الهندية التي فتن بها بعض صوفية المسلمين معطلة التشريع ، الذي قال فيهم الامام الغزالي انهم قد طووا بساط الشريعة طيا فياليتهم لم يتصوفوا

ثم إنه جعل الناس ثلاثة أقسام في الثقافة العقلية : علماء منتهون ، وأواسط متعلمون ، وعامة مقلدون ، وقرر أن كل طبقة من هذه الطبقات الثلاث تتطلب من الدين مايناسبها من الغذاء الروحاني ، وان الدين الذي يوفي كلا منها حاجاتها كلها هو الدين العام الخالد ، فان لم نجده لجأت الانسانية الى شيء جديد

وقفى على هذا ببيان ماتطلبه الطبقة العليا من الدين بقوله :

« لايتطلب العلماء المنتهون أن يأخذوا عن الدين آدابا وأخلاقا ، ولا أن يتعلموا منه أسلوبا في الحياة ولا دستورا في المعاملات يتفق وأصول العدل والاخاء والمساواة ، فانهم وضعة المذاهب ، وبناة الاساليب ، وصاغة الاصول ، وانما هم يتطلبون من الدين أن يصلهم بروح الوجود إيصالا مباشرا يستمدون منه حياة لارواحهم ، ونورا لعقولهم ، وسكنا لنفوسهم ، ومعاذا لوجدانهم »

ثم وصف هؤلاء العلماء وصفا خياليا شعريا في اشتغالهم بهذا الوجود وقواه وآياته وعلله الاولية وحيرتهم في أسرار ذلك وخفاياه (وقال) « فالتدين لديهم صعود بالروح الى قيومها واتصال به في عالمها » وصرح بأن هؤلاء العلماء الاعلام يرون أن لاحاجة بهم الى الاديان المعروفة ، فهم يستمدون في تدينهم على ما غرس في في الفطرة الانسانية من الدين الحق ، وقد حمل بعضهم اليأس من الاديان الموجودة على وضع دين دعوه الدين الطبيعي »

هذه مقدمات خلاصتها ان هؤلاء الذين سماهم العلماء الاعلام المنتهين قد عرفوا كل الاديان الموجودة ولم يجدوا فيها حاجتهم الى الدين الموصل لهم الى مايتطلبونه من وصال روح الوجود مباشرة ، وان كل مافي هذه الاديان من أخلاق وآداب وفضائل وتشريع ومعارف الهية هي دون ما يعرفونه وما وضعوه منها ، ونتيجة هذه المقدمات أن ما يسميه هو إسلاما هو الذي يصلح لهذا العصر علمائه الاعلام ومن دونهم ، وهو ما صرح به قبل الآن في جريدة الاخبار واشترط لاظهاره والاقناع

به والتمهيد لقبوله أن يترك المسلمون هذا الاسلام الذي يعرفونه تركا تاما لاجل أن تكون الدعوة الى الاسلام الذي يفهمه دعوة جديدة مرجوة القبول أو مضمونة القبول

وقد صرح في هذا البحث الجديد بأن هؤلاء العلماء المنتهين يجدون في دين الاسلام القديم آية من كتابه موافقة لهم على مذهبهم الذي يذهبون اليه في تطلبهم لما ذكر من وصال روح الوجود وقيومه مباشرة بلا وساطة وهي قوله تعالى في سورة الروم (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون) يعني أنهم بمقتضى هذه الآية على مافسرها هو به مسلمون ، وان لم يعلموا ولم يعلم أحد من المسلمين الذين لا يفهمون هذه الآية كما فهمها انهم مسلمون - وبهذا دون غيره يكون الاسلام دينا عاما خالدا على رأيه ، والمعقول أن يكون الناس أشد تباينا وتماديا في دينه إن قبلوه مما هم عليه في أديانهم كلها

وذلك بأنه فهم أن الفطرة في الآية هي الطبيعة البشرية نفسها ، وان الطبيعة هي الاسلام المراد من الآية ومن القرآن كله ، قال في ص ٢٦ « فهذه الفطرة فطرة المولود قبل أن يلقن دينا من الاديان وتعاليم من التعاليم هو الاسلام الذي جاء القرآن بالدعوة اليه » ثم قال « فالاسلام لا يؤخذ بالتلقين وانما هو الطبيعة نفسها خالصة من جميع المذاهب البشرية ، فكل مولود يولد مسلما بطبيعته فيتأدى الى خير المذاهب في مدى حياته بعلمه وعقله وتفكيره ولا يحتاج لمن يرشده اليه » !!!

لعمري ان هذا الكاتب لم يكتب هذا تحت ضوء العلم والفلسفة، بل كتبه وهو غريق في تخيلات من الفلسفه وأوهامها ، وآراء لجة في حقيقة الدين لم يتم نضجها ، ومجارب في مخاطبة الارواح لم تبلغ درجة الحقائق العلمية ، فمثله فيها (كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)

يرد على هذا الرأي أو المذهب أو الدين مسائل كثيرة متشابكة نذكر منها مايتبادر الى الذهن بالاختصار ، فان بسطها لايمكن الا بتأليف سفر خاص :

(للنقد بقية)

﴿ مطبوعات دار الكتب المصرية ﴾

أخرجت دار الكتب المصرية من مطبوعاتها الدورية في هذه الفترة ديوان يدمر الحيوي وديوان جران العود النميري على أدق ما يكون من الصحة وجمال الطبع وخدمة لنشر العلم والادب جعلت ثمن النسخة الواحدة من كل منها ٢٥ مليا للافراد و ٢٠ مليا لباعة الكتب أو لمن يشتري عشر نسخ فما فوق

ثم أنجزت طبع كتاب «ديوان نابغة بني شيبان» من فحول شعراء الدولة الاموية، وهو كسائر مطبوعات الدار في دقة التصحيح وجمال الطبع وثمن النسخة الواحدة منه ٤٠ مليا للجمهور و ٣٠ مليا لأصحاب المكتبات أو لمن يشتري عشر نسخ فأكثر . وتطلب مطبوعاتها منها ومن مكتبة المنار بمصر

﴿ جريدة الجامعة الاسلامية ﴾

جريدة يومية سياسية ذات ٨ صحائف تصدر في ثغر يافا الفلسطيني لمنشئها ورئيس تحريرها الاستاذ الشهير بعلمه وقلمه ووطنيته الشيخ سليمان التاجي الفاروقي، وحسبي أن أقول في تقريظها ان مسماها مصدق لاسمها ، فهي تتحرى في تحريرها وما تختار نقله عن صحف العالم مصالح المسلمين العامة من دينية وسياسية ، ولا تتحيز إلى حكومة من الحكومات الاسلامية دون أخرى، ولا إلى حزب من الاحزاب الوطنية الفلسطينية أو زعيم دون آخر فيما فيه خلاف، بل تسالم الجميع وتوادهم في دائرة المصلحة العامة، ولكن بلغت سعة الحرية منها أنها تنشر رسائل في مدح خطة حكومة الجمهورية التركية واطراء زعيمها فيما يخالف كاتب هذه الرسائل فيه كل مسلم يدين الله تعالى بما جاء به محمد رسول الله وخاتم النبيين، ولعل عذرها في هذه الحرية أنها تقبل الرد على هذه الرسائل لتمحيص الحقائق ، وما ذكرت هذا إلا ليكون استدراكا على ثنائي عليها لئلا يعد اقراراً لهذه الرسائل ، وتنبيها للمدافعين عن الاسلام من قرائها

فأهنيء الاستاذ الفاروقي المجاهد الشجاع بجريدته وأحث المسلمين على تعضيده بنشرها ونشر آرائهم الاصلاحية فيها . وقيمة الاشتراك السنوي فيها في فلسطين جنيه فلسطيني ونصف جنيه وفي خارجها جنيهان . وقيمة الجنيه الفلسطيني والجنيه الانكليزي واحدة ومثلهما الدينار الحجازي والعراقي

أنباء العالم الإسلامي

(حال المسلمين أو العرب مع دول الاستعمار)

بينا في فاتحة منار هذا العام حال الدول والشعوب الاسلامية في العالم كله، ومنه ن دول الاستعمار المعادية للاسلام قد تقلص ظل نفوذها وبغيها عن مسلمي الاعاجم ووجهت ظلمها وقهرها للامة العربية في مهدها من جزيرة العرب وما حولها من آسية وفي افريقية، وهي الشعوب التي بذلت دماءها وأموالها في سبيل هذه الدول في الحرب العالمية الكبرى. فهي تكافئهم على هذا بسلب ما بقي لهم من استقلال وثروة ووحدة في آسية والقضاء على دينهم ولغتهم وثروتهم في أفريقية، لماذا؟ لانهم جهلاء متفرقون لا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم؟ فان قوة العرب في جزيرتهم كافية لكف عدوان الانكليز عن الحجاز وفلسطين وسورية، لولم تجعل هذه الدولة بأسهم بينهم شديداً، وتهددهم بتخرب بيوتهم بأيديهم

وأما فرنسة فلا تزال تهدم دينهم في سلطنة المغرب الاقصى وامارة تونس اللتين علاقتها بهما علاقة حماية مشترط فيها سلامة دينهم وجنسيتهم بأشد مما تفعل في الجزائر التي فتحتها منذ مائة سنة، وقد بلغ من اضطهادها للحرية الدينية فيها ان منعت من عهد قريب علماء المسلمين من الوعظ الديني وقراءة الدروس في التوحيد والفقه من جميع المساجد

وقد كاد ينتهي العام الثالث على إصدارها الظهير البربري المشهور (في ١٦ مايو) الذي يخولها اخراج شعب البربر من دائرة الشريعة الاسلامية وجعلهم من أتباع الكنيسة الكاثوليكية، وهي لا تزال مصرة على تنفيذه بكل ما أوتيت من قوة

وهي على هذا تنشيء سكك الحديد لوصل المغرب بمستعمراتها الداخلية في أفريقية لتتمكن من حشد الجيوش منها الى الساحل المغربي ونقلها الى أوربة عند اشتعال جحيم الحرب الآتية التي ستكون هي أكبر الاسباب لاشتعالها بسياستها العسكرية المسرفة ومحاولتها قتل الشعب الالماني صبرا وقهرا بحرمانه من الاستعداد للدفاع عن نفسه (فاعتبروا ياأولي الابصار)

الجنسية الفرنسية في تونس

وضعت الدولة الفرنسية منذ عشر سنين نظاما لتجنيس مسلمي الامارة التونسية بجنسيتها لاجل اخراجهم من دينهم ومن جنسيتهم التونسية المعترف بها في عقد حماية فرنسة لها ، وقد حدث في الشهر الماضي أن مات أحد هؤلاء المتجنسين فمنع الشعب المسلم أهله من دفنه بين المسلمين في مقابرهم لانه مرتد ، فقصدت السلطة الفرنسية لقمع هذه الحركة وأرادت أن تستعين على هذه الجناية بفتوى بعض العلماء الرسميين بنفوذ الوزير توهم العامة انه يمكن للمتجنس بالجنسية الفرنسية ان يظل مسلما بأن يتوب من ذنبه وحينئذ يصح أن يصلى عليه إذا مات ويدفن في مقابر المسلمين. ولكن من المتفق عليه عند العلماء أن ركن التوبة الاول هو الرجوع عن الذنب الذي صار به كافرا مرتدا ، وهو في هذه المسألة التجنس المعلوم . يقال إن الفتوى الرسمية صدرت، وإن العلماء الاحرار أنكروها، والشعب نبزها ونبزهم، والرسميات لا مزية لها ولا رجحان على غيرها في عقائد الاسلام إذ ليس فيه بابوية ولا عصمة. فالجمع بين الاسلام والجنسية الفرنسية محال، فحيا الله الشعب التونسي، ونصح لملك وحكومته بالا تخذله في دينه، ومن خذله منهم خذله الله وسنعود الى الموضوع ان شاء الله تعالى

فرنسة وسورية الشمالية

لا تزال فرنسة مصرة على تقسيم سورية الى عدة دول وحكومات للاجهاز عليها واستعبادها : دولة مسيحية في لبنان ودولة علوية في اللاذقية ودولة اسلامية أو عربية في الشام ودولة درزية في جبل الدروز . ولما رأت نفسها مضطرة لدى جمعية الامم الى إلغاء الانتداب اقتداء بانكلترة ، خلقت مجلسا نيابيا بقوتها العسكرية ومال الحكومة السورية ومساعدة أنصارها الخونة وألفت حكومة سورية من أعوانها ، وأرادت أن تضع مع هذه الحكومة ومجلسها معاهدة تحل محل الانتداب وتعني بالدولة السورية المدائن الاربع المحصورة بين الصحراء وسورية الساحلية، فشمر الشعب بايقاظ زعمائه المخلصين بخطر هذه المعاهدة فهب لمقاومتها فنحثه على الثبات، ونوجه نظر الدولتين العربيتين السعودية والعراقية الى مايجب عليهما من العطف عليه ، فانه ذنبه الذي لا يغفر هو العروبة والاسلام ، وتهذر جملة فرنسيا كاثوليكيا كما يرجون من الدروز والنصيرية

لبنان الكبير وطن مسيحي

(هكذا يقول بطرك الموارنة الزعيم الديني السياسي)

نشرت جريدة المقطم رسالة لمراسلها اللبناني تاريخها ١٤ فبراير سنة ١٩٣٣ فرأينا أن نسجلها في المنار لانها من أهم وثائق التاريخ لهذا الانقلاب الطارئ، على هذا الطارئ، وهذا نصها :

«في لبنان اليوم حركة خواطر لاسباب متعددة منها انقضاء نحو ثمانية أشهر على تعليق دستوره بحجة إصلاحه وتعديله وعدم ظهور شيء حتى الآن من هذا التعديل . ومنها خوف أهل لبنان من العودة إلى الحكم المباشر . ومنها عدم مفاتحة لبنان وأهله بأمر تحديد العلاقات بينهم وبين المنتدبين وافراغ هذه العلاقة في قالب معاهدة على المثال الذي جرى في بغداد والذي سيجري في دمشق . ومنها المعارضة التي تتململ اليوم في لبنان لزحزحة حكومته الوقتية متوسلة بوسائل لاتنتسب الى براج معينة في السياسة الوطنية

هذه الامور وغيرها مما تسبب عنه قلق في الافكار في لبنان وحركة في الخواطر دعاني إلى البحث في المراجع العالية من زمنية ودينية يرجع إلى رأيها في حقيقة ما يتوقع أن يتم بهذه الامور لاطلاع القراء على هذه الحقيقة فقصدت يوم أمس إلى (بكركي) مقر كبير أحبار الطائفة المارونية غبطة البطريرك انطون عريضة لآخذ رأيه . ورأي البطريركية المارونية ما برح عليه المعول في شؤون لبنان السياسية واليه يستند المنتدبون في كل ما يريدون اجراءه

«دخلت على غبطة السيد البطريرك وهو في خلوته وأعلمته بمهمتي فاستقبلني بترحاب فقلت : نحن اليوم ياصاحب الغبطة في دور دقيق جداً من حيث مصير البلاد اللبنانية لاسيما ان سورية جارتنا تتحفز الى الاستقلال الناجز على مثال ماجرى في العراق فهل يمكن ان تتكرموا برأيكم في مصير لبنان وفي موقفه من هذا التحول في الانتداب في سورية ؟

فقال غبطته : نحن طلبنا الانتداب الفرنسوي بمطلق ارادتنا ونحن نريد أن يبقى عندنا الآن ، ليس لاننا غير أكفاء للقيام بما هو مطلوب منا كشعب ، بل لان للظروف أحكاما ، وأما أهل سورية فلهم رأيهم وهم أدرى بما يوافقهم. فاذا كانت المعاهدة أوفق لهم فنحن نرى الآن اننا ما زلنا في حاجة الى هذا الانتداب الذي طلبناه بمحض ارادتنا

فقلت : يتحدثون كثيراً اليوم بالوحدة السورية ويذكرون أسماء البلدان التي يمكن ان تشترك في هذه الوحدة ويقولون انها اذا تمت على أساس اللامركزية لا يضار لبنان بشيء . فهل لغبطتكم رأي في ذلك ؟

فقال : ان لبنان كان لبنان، ونريده ان يبقى لبنان ، فسورية بحالها ونحن بحالنا

فقلت : ولكنهم ياصاحب الغبطة يتشبثون بارجاع الاجزاء التي ألحقت بلبنان إلى سورية

وما أتممت عبارتي هذه حتى التفت إلى العميد اللبناني بعينين يرق نورهما وقال :

— ومتى كانت سورية مملكة لها هذه الاجزاء وسلبناها منها ، ان هذه الاجزاء هي أصلا للبنان وقد سلبت منه في الازمان الماضية فاذا استعادها اليه اليوم استعاد ماهو ملكه، واسترد ماهو حق له، وهي بلدان لبنانية الاصل أعيدت الى لبنان . ألم يكن لبنان ممتداً حتى انطاكية وحتى عكا أو ماوراءها في الايام السالفة؟ ولهذا فاذا أعيد إلى ماكان عليه فاعادته هذه يجب ألا تعد تطاولا منه على حق غيره ، وهذه الاجزاء التي يتألف منها الوطن اللبناني اليوم انما كانت مع لبنان المعروف في أيام المتصرفين أجزاء من ولايات أنشأها الترك لخلوا بسلخها عن لبنان الامارة اللبنانية واليوم أعيد الحق إلى نصابه ولبنان إلى أصحابه

ونحن نريده لعوامل شتى ان يبقى على ماهو عليه والظروف تجبرنا على ذلك (وههنا ذكر الكاتب حديثا في دستور لبنان والحكم الوقتي فيه قال في آخره)

فقلت هنا: ان الاشاعات التي يتناقلها الناس اليوم متناقضة، والآراء فيها مختلفة، فمنهم من يستحسن ان يكون لبنان حاكم من أهله، ومنهم من لا يريد ان يكون للبنان إلا حاكم فرنسوي. وقبل ان أتم كلامي قال البطريرك

لا: لا: اننا لا نريد حاكما فرنسويا للبنان بل نريده لبنانيا محضا

فقلت وماذا ترون في حاكمه الحالي؟ فقال: اننا طلبنا أن يكون الحاكم مارونيا

فقلت لا أعلم اذا كنتم غبطتكم قد اطلعتم على البيان الذي أفضى به المسيو بونسو امام لجنة الانتدابات في جامعة الامم وفيه يذكر لبنان بين البلدان التي قبلت الانتداب في هذه البلاد بطيبة خاطر وذلك لاختلاف مذاهب سكانه، وكيف سرد للجنة احصاء لسكان لبنان وقال ان جميعهم من الاقليات التي لا يمكن لواحدة منها ان تسود الاخرى

فقال غبطته: نعم نحن قبلنا الانتداب بطيبة خاطر، وأما الاقليات والاكثريات وقولهم فيها فلا يعنينا ولبنان وطن مسيحي »

(المنار) في هذا الحديث عبر كثيرة للمسلمين لا نريد الآن أن نشرحها (منها) ان الرئيس الديني لمذهب الموارنة الكاثوليكي هو الزعيم السياسي الاكبر لهم وقد جعلوه بقوة فرنسة زعيما ورئيسا سياسيا لجميع اللبنانيين والمسلمون فيهم أكثر من الموارنة (ومنها) ان هذا الزعيم العام يطلب ان يكون حاكم لبنان مارونيا ويقرر أن لبنان هذا وطن مسيحي. وقد كان لهذه الكلمة هزة في نفوس الطوائف الاسلامية وبعض المسيحيين الذين لا يزالون يقولون ان الاوطان في هذا العصر يجب أن تكون للاقوام لا للاديان، فأراد بعض هؤلاء أن يزيلوا سوء تأثير كلمة البطرك فنقلوا عنه إنه قال ان كون لبنان وطنا مسيحيا لا يمنع ان يكون فيه غير المسيحيين، وهذا مما يعلم بالبداهة فان العبرة بالحاكمية والسيادة العليا وفي جميع الاوطان الاوربية وغيرها سكان وطنيون من غير أهل دين الدولة ذات السيادة

ياحسرة على لبنان، كان متمتعا باستقلال عدم أمثاله فسلبته منه (الام الحنون) وجعلته شر آلة لسلب استقلال سورية كلها، وابناؤه البررة لها لا يشعرون، فلا قومية ولا وطنية ولا سياسة ولا ادارة، فأين ما كانوا يدعون؟

الاتفاق بين الدولة السعودية وحكومة شرق الاردن

من أهم أنباء العالم الاسلامي فوز السياسة الانكليزية بحمل كل من ملك العربية السعودية وأمير شرق الاردن على الاعتراف بحكومة الآخر والاتفاق بينهما على نحو مما سبق في التأليف بين الأول وملك العراق وحكومتيهما . وإن هذا الاتفاق ليسر كل عربي وكل مسلم — وان استاؤا من كونه بسعي الانكليز لمصلحة الانكليز — بشرط الا يتضمن نصه الرسمي اعتراف الاول ببقاء منطقة العقبة ومعان الحجازية تابعة لإمارة شرق الاردن الانكليزية ، (نعم هي انكليزية بالفعل سواء سمي استيلاؤها انتدابا أو ملكا أو خدمة أو عبودية) فان كانت نتيجة هذا الاتفاق بقاء السلطة البريطانية في خليج العقبة وتصرفها فيه وفي منطقته الى معان فالربح والفوز لها وحدها ، والغبن والخسار على الاسلام والمسلمين ولا سيما عرب الحجاز ونجد ، وحكومة الحجاز تكون شريكة لحكومة شرق الاردن الصورية في إثمه الذي كان لاصقا بأميرها وأخيه وحدهما . أقول هذا على فرض تسليم الملك السعودي بذلك وهو ما لا أظنه فيه بل يغلب على ظني أن تبقى المسألة معلقة ومؤجلة الى مفاوضة أخرى . والواجب على المسلمين على كل حال أن يهبوا في كل قطر لحمله على مطالبة الانكليز بالخروج منها وإرجاعها الى الحجاز وكذا سكة الحديد الحجازية بما سأعود الى بسطه بعد

عسرة الحجاز وهضم حقوقه

يقول بعض حجاج هذا العام ان ألوفا من أهل الحرمين يموتون جوعا في هذا العام بشدة العسرة وقلة الحجاج ولا سيما أهل البادية وحكومة مصر تتمتع بمئات الالوف من أوقاف الحرمين وهي لا ترحمهم ببذل حقوقهم لهم ، وأهلها أقرب المسلمين اليهم ، وهي أعلمهم بحالهم ، بل اشتهر ان هذه الحكومة تستولي على ريع أوقاف الحرمين الاهلية المستحق للحجاز من نظارها وتمنعهم من ارساله الى مستحقيه ، أفلا تخاف الله وترعى حرمة رسوله ﷺ في جيرانهما وأهل حرمهما ؟ دع حقوق الاسلام الخاصة ، والرحمة الانسانية العامة ؟

ولكن لعنة الله على السياسة التي لا تعرف دينا ولا رحمة ولا انسانية

نـــــــــــداء

من حزب الاستقلال العربي في فلسطين

الى كل عربي كريم ، الى كل هيأة عربية ، الى كل صحيفة عربية في أنحاء الارض

يبعث حزب الاستقلال العربي في فلسطين نداءه هـذا ، وحالة العرب في فلسطين قد انتهت الى ما تهلع له القلوب ، وتضطرب النفوس ، وتهتز المشاعر ، إذ أخذ المستقبل المشؤوم يبدو كالحا مظلما ، والخطر الملاشي لكيان العرب يتجسم يوما فيوما ، ويحدق بهم إحداقا مفزعا منبعثا من ناحيتين كبيرتين ، هما ناحية بيع الاراضي خاصة ، وناحية الحكم الاستعماري المباشر في فلسطين عامة ، وكلتا الناحيتين تؤديان الى تلاشي العرب وانهيار بنيانهم القومي ، وانسلاخهم عن أرض آبائهم وأجدادهم بفعل السياسة البريطانية الصهيونية .

أما مشكلة الارض ، فقد بلغت حدها الأكبر من الخطر ، إذ نشط اليهود في المدة الأخيرة لابتياع الاراضي نشاطا عظيما ، وهي الاراضي العربية القليلة التي بقيت بأيدي العرب ، والتي اذا تسنى لليهود ابتياعهـا ، وأكثرها واقع في السهول الساحلية ذات القيمة الزراعية الجيدة ، أصبح اليهود يملكون معظم الجهات الساحلية الخصبة في البلاد ، سلسلة متصلة الحلقات ، وظاهر ما في هذا من خطر ينذر البلاد بسوء المصير ، يضاف الى هذا الخطر ، خطر آخر مماش له جنبا الى جنب ، وهو الهجرة الصهيونية واغراق فلسطين بسيل عرم من المهاجرين اليهود يدخلون البلاد بجوازات سفر وبطرق غير مشروعة ، كل هذا نتيجة استقتال اليهود لبناء المملكة اليهودية في فلسطين ، على انقاض الكيان العربي المتداعي الى السقوط والانهدام .

ولقد أصبح أكثر من ستة وثمانين ألف عائلة عربية لا أرض لها ومن دون مأوى ولا كسب ، وثبت هـذا بشهادة التقارير الرسمية التي وضعها الخبراء الانكليز الذين كلفوا درس الحالة درسا دقيقا ، وكانت النتيجة الواقعة حتى

اليوم أن انتقلت أجود الاراضي الى اليهود ، وانزوى العرب في المناطق الجبلية القاحلة .

ولذلك باتت فلسطين تشهد كل يوم مآسي انهدام كيانها ، بذهاب قرية بعد أخرى ، والاراضي قطعة بعد قطعة ، وتشرد المزارعين وهيامهم على وجوههم إلى حيث الفناء والدمار ، هم وعيالهم وأولادهم !!

يجري هذا كله جريا مطرداً سنة فسنة ، والسلطة الانكليزية في فلسطين ممعنة في حكم البلاد حكما استعماريا مباشراً ثقيل الوطأة ، مسلحا بأقسى ما عرفه البشر من ضروب التقنين والتشريع والانظمة ، مما تدأب السلطات البريطانية في وضعه وتكبيل البلاد به ، وتمهيدها لانشاء الوطن القومي اليهودي ، وقد بلغت الحال خلال الخمس عشرة سنة الاخيرة من الويل والارهاق مبلغا يعز وصفه ويصعب تصويره ، فأصبح العرب وليس لهم من أمر بلادهم ووسائل حمايتهم شيء ، ولم تلتفت السلطات البريطانية الى شيء من أنين الشعب العربي وتظلمه وشكاته ، طالباً وضع حد لهذه الغزوة الصهيونية الجتاحة ، وسن قانون عاجل يمنع بيع الأرض من العرب الى اليهود منعا باتاً ، ويغلق باب الهجرة الصهيونية ، وطالبا أن يتسلم مقاليد حكم نفسه بنفسه حفظا لكيانه ، وهو العلاج الطبيعي الوحيد الذي بغيره تظل فلسطين تتردى في الهوة السحيقة حيث الفناء المنتظر ، فتمثل فاجعة الاندلس ثانية دون أن يغني فيها ندب ولا عويل !

ويسار بالوطن القومي اليهودي في قلب البلاد العربية وعلى كتف الجزء الشمالي من جزيرة العرب ، والاقطار العربية المجاورة لم تقم بعمل بعد تشعر منه السياسة البريطانية بتضافر العرب على دفع الكارثة ، ودرء هذا الخطر الذي اذا استفحلت غزوته ، فسيشمل غير فلسطين لامحالة ، كما أخذت الدلائل في شرق الاردن تدل عليه في هذه الفترة الاخيرة .

لحزب الاستقلال العربي في فلسطين ، وهو يرى كل هذا حاضراً ، ويقيس على الواقع ، المصير المتوقع مستقبلا ، يناشد كل عربي كريم وكل هيأة عربية ، في أنحاء الارض ، ويناشد أهل البلاد العربية الشقيقة ، الى التضافر والتآزر مع اخوانهم عرب فلسطين في رد هذه النكبة التي كادت تأتي عليهم ، والى الوقوف

في وجه السياسه الانجليزية موقف المدافع عن حياته وبقائه وكيانه ، ابتغاء وضع حد لهذه الحالة المروعة التي كادت تفتك بقطر عربي وتذهب به فريسة المطامع الاستعمارية والصهيونية في بيت المقدس ٣ شوال ١٣٥١ ٢٨ ك٢ ١٩٣٣

﴿ كتاب اللجنة العليا لصندوق الامة بفلسطين ﴾

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الاستاذ الشيخ رشيد افندي رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فبالنظر لما يعهده المسلمون فيكم من الغيرة على تراثهم الديني ، والذب عن مقدساتهم ، والرغبة في المحافظة على كيانهم ، يرى فريق منهم كان له شرف الحظوة لسدانة أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، وما يحيط بها من مقدسات إسلامية ، وبقاع جبلت بدماء المجاهدين الذين لاقوا ربهم فيها دفاعا عن كيانها جيلا بعد جيل ، أن يرفعوا لجنابكم هذه الكلمة الموجزة عما وصلت اليه حالتها من خطر الخروج لا سمح الله من أيدي المسلمين الى أيدي اليهود ، إن لم يتداركها المسلمون وعلى الاخص ملوكهم وأمراؤهم وزعماؤهم بعنايتهم ، ويعملوا متكاتفين لانقاذها قبل أن يقع المصاب ويحل الندم ولات ساعة مندم .

إن السياسة الصهيونية التي ابتليت بها فلسطين وأهلها ترمي الى (وضع البلاد في حالات سياسية واقتصادية وادارية تساعد على إنشاء وطن قومي فيها لليهود) وكانت أهم مساعي اليهود في تنفيذ هذه الفكرة منذ البدء متجهة الى الاستيلاء على أراضي البلاد المقدسة بأي وسيلة كانت ، واغراقها بالمهاجرين من شذاذ الآفاق من يهود العالم ؛ وان الاستيلاء على الاراضي هو الذي يخيف المسلمين ويجعل مقامهم فيها بعد الحصول اليه لا سمح الله مستحيلا ، لان من لا أرض له لاوطن له ، ولا يمكن لقوم أن يعيشوا في بلاد أراضيها ليست لهم مهما كثر عددهم وعددهم . ولما كان بيع الاراضي وشراؤها أمراً اقتصاديا تابعاً للقوانين والنواميس والاصول الاقتصادية فقد وجد المسلمون في فلسطين وغير

فلسطين ، بعد معالجتهم لهذا الموضوع مدة عشر سنوات ، ان من العبث العمل لحل هذه المعضلة بغير النواميس والاصول . فالمسلم ذو العائلة مضطر عند الحاجة لبيع أرضه لاعالة أطفاله والمدين منهم يرغم على بيع أرضه بواسطة الحاكم وليس في أسواق الاراضي من يشتري غير اليهود بأسعار بخسة . ولذلك كان من الحكمة والمصلحة لحفظ كيان المسلمين أن تؤلف شركة لانقاذ أراضي فلسطين لشرائها ممن يضطر إلى بيعها ثم تقسيمها وتأجيرها واستثمارها لمنفعة الشركة ، وفي ذلك حفظها من الضياع واصلاحها واستبقاؤها في يد العرب .

هذا هو الحل الوحيد الذي اتفقت عليه الآراء وهذا ما أقره ممثلو الامة الاسلاميه في مؤتمر الاسلامي العام المنعقد في المسجد الاقصى ببيت المقدس في ٢٧ رجب ١٣٥٠ — كانون الاول ١٩٣١ ، لذلك وجدت لجنة صندوق الامه العليا الممثلة للمؤتمر العربي الفلسطيني الذي يتكلم باسم عرب فلسطين أن تنفذ هذه الفكرة ، فشكلت شركة باسم (شركة إنقاذ الاراضي في فلسطين) وجعلتها شركة مساهمه ، وتجدون ...... طيه نسخة من نظام هذه الشركة القانوني برأسمال قدره عشرة آلاف جنيه تزداد باضطراد الى أن تبلغ مئات الالوف .

واللجنه انما قامت بعملها هذا ، مستندة على ماسوف تلاقيه من ملوك المسلمين وعظمائهم ، من الاقبال على ابتياع أسهمها دفاعا عن كيان هذه البلاد الاسلامية المقدسة واستثماراً لاموالهم فيكون في اشتراكهم فيها ربح من أموالهم ودفاع مجيد عن ثالث الحرمين وأولى القبلتين .

ان أهل هذه البلاد الذين هم سدنة أماكنها المقدسة من عامة المسلمين يعملون لانقاذها مضحين بأموالهم وأنفسهم فمن العدل أن يقوم المسلمون البعيدون عنها وهم أصحابها وعليهم اثم التواني في الدفاع عن كيانها أن يمدوا يد المساعدة في مثل هذا الامر فيكونوا قد استثمروا أموالهم واشتركوا في الجهاد دفاعا عنها والله لايضيع أجر المحسنين .

رئيس اللجنة العليا
لصندوق الامة
موسى كاظم الحسيني

بيت المقدس في ١٠ شوال سنة ١٣٥١
و ٥ فبراير سنة ١٩٣٣